

أحمد يونس
نادر فوده
قبل البداية
( الوقاد )

# إهداء

إلى من اكتشف كل لحظة قيمته في حياتي

إلى من لم أستمتع بوجوده معي إلا قليلًا

إلى أبي الحبيب..

كنت أتمنى أن تكون معي في هذا اليوم لأرى دموع فرحتك الغالية وأنت تمسحها بمنديلك القماش من أسفل نظارتك الطبية السوداء..

- إلى امي وحبيبتي وسر وجودي

- إلى زوجتي وحبيبتي ورفيقة العمر

- إلى مكافأة ربي لي ابني معز

- إلى إخوتي سندي ودعمي وأسرهم

- إلى أبناء إخوتي «ولادي»

-إلى المعلمين «عزوتي وأهلي»

-إلى بيتي الكبير : الراديو ٩٠٩٠

-إلى الطالب المجتهد المناضل: أحمد يونس

أهديكم هذا العمل المتواضع...

داعيًا الله أن ينال إعجابكم

أحمد يونس

# مقدِّمة

أبدأ منين؟!

أبدأ باسمي وشغلي وهكذا زي ما وعدتكم؟

ولّا أبدأ بفلاش باك لمرحلة تعرفوها من حياتي؟

ولّا فلاش باك أقدم، لمرحلة محدش يعرفها عني؟

طيب خلونا نتفق مبدئيًا إن دي أولى تجاربي في إني أتكلم عن نفسي بشكل غير المعتاد اللي أنا وأنتم اتعودنا عليه دايمًا..

أنا..

أنا نادر فودة الصحفي في جريدة عمق الحدث- باب ما وراء الطبيعة.

أنا الصحفي المغامر والمقامر اللي دايمًا بيدوَّر على أبواب مشاكل ويدخلها من دون حساب.. بيفتحها ويتوكل على الله ويدخل دون تردد.

اللي متابعني أكيد عارف كويس مجال عملي الصحفي..

طيب خليني أفكر اللي عارف وأعرَّف اللي مش عارف..

أنا بالبلدي كده غاوي مشاكل.. مشاكل مش من أي نوع، يعني لا سياسة ولا دين ولا جنس -ودي في الغالب الثالوث بتاع وجع الدماغ المعتاد-.. لكن أنا اخترت ما وراء الطبيعة، اخترت عالم غامض أسود مظلم، الأنفاس فيه معدودة.. دقات القلب فيه متسارعة. خُضت العديد والعديد والعديد من من المغامرات، بعضها مرعب وبعضها غامض، وبعضها فخ وبعضها لا تفسير له!

خلينا نتفق. كل متابعيني القُدام من خلال أعمالي الإذاعية مع أحمد يونس وحلقات رعبه الشهيرة جدًا اللي كان ليها الفضل الكبير جدًا في إن ملايين الناس تعرفني.

هنتفق على إيه؟

العمل اللي بين إيديكم مش هيكمل أعمالي الإذاعية بشكل حرفي يعني ما تستغربش لو لاقيت شخصيات جديدة، وكمان ماتستغربش لو لاقيت بعض الأحداث مغايرة للقصص الإذاعية، وماتندهش لو لاقيت تفاصيل هنا أكتر بكتير عن أي حاجة سمعتها ليا قبل كده..

يعني بالبلدي كده..

هذا العمل اعتبره عملًا موازيًا لكل مشواري (مشوار نادر فودة) وتعاملوا معاه كعمل مستقل جديد ومختلف، دون العودة كثيرًا للقصص السابقة.

اخترت لأول كتبي عنوان: نادر فودة (قبل البداية) علشان أحب جدًا الكل يعرف كيف كانت البداية وربما ماقبل البداية.

# الفصل الأول

## طفولة وفضول

طفل يبلغ من العمر ١٠ سنوات نشأ وترعرع في إحدى محافظات مصر العظيمة.. ما كنش زي باقي الأطفال من سنّه!

لا كورة ولا حتى (بِلي).. المدرسة بالنسبة لي مرحلة من اليوم بالطول والعرض بتتقفي وبدوّر يوميًا على حاجة مش عارفها بس مسيري هعرفها.

وبدأت نقطة التحول وأنا في عمر الأحد عشر عامًا، بعد وفاة عمي شحاتة عبد الرحيم فودة..

بس قبلها خليني أكلمكم عن الأسرة.. أب وأم عاديين محبين لولادهم نادر وأمنية.. أمنية الأخت الكبرى.. اتربّت في بيت الجد معظم الوقت لكن نادر نشأ وسط والديه.. فكان ارتباطهم الثلاثة ببعض قوي جدًا.. وأمنية كانت بتفضّل البقاء في بيت جدي وجدتي على العيش معنا.. عشان الدلع إللي شايفاه هناك.

طب نرجع تاني لنقطة التحول، مشهد سريع خاطف:

شحاتة عمي مات، والبيت اتملا صراخ وعويل، وإذا بالأسرة تغلق الباب على عمي وكأنهم قرروا يحبسوه لوحده للمرة الأولى، وكان كل واحد يقرّب من باب الأوضة، والدي يجري يمنعه وكأنه هيرتكب جريمة!

ولكن الفضول قاتلني.. وحصل المطلوب؛ زوجة عمي جريت وفتحت الأوضة، وقعدت جنب السرير اللي عليه جثمان عمي شحاتة وهاتك يا صويت.. ناس كتير دخلت وراها يمنعوها ويشدوها يخرجوها. اللي يقول لها حرام عليكي.. واللي يقول لها استغفري وقولي إنا لله وإنا إليه راجعون..

أما أنا فانتهزت الفرصة ودخلت وسط الزحمة واستخبيت تحت السرير لحد لما الكل خرج.

فضلت تحت السرير، وقتها كنا المغرب.. وزي أي طفل غلبني النعاس ممكن لساعة أو أقل..

وأنا نايم تحت السرير، بدأت أسمع همس في وداني غير مفهوم..

وبدأ الهمس يتضح شوية بشوية، وبدأت الكلام بوضوح:

- نادر.. نادر، اخرج من الأوضة..

نادر نادر، الأوضة ضلمة، اخرج..

الصوت كان مرعب جدًا خلاني اتخضيت وفتحت عنيا فجأة وصحيت، الأوضة كانت ضلمة تمامًا بالفعل..

أنا مش شايف حتى إيدي، حبيت أقوم، راسي اتخبطت في السرير، أدركت وقتها إني تحت السرير..

خبطة راسي في السرير هزته لكن مش لدرجة إن السرير يفضل يتهز لحوالي نصف دقيقة بهدوء مخيف!

بعد السرير لما سكت تمامًا، بدأت أزحف على بطني بالراحة، وخرجت وقفت واتوجهت ناحية الأباجورة على الكمودينو علشان أنورها..

المشوار للأباجورة كان زي طريق الألف ميل..

شُفت في الضلمة ما لا عين رأت.. أشكال هلامية سوداء كوِّنها الظلام.. وحوش مرعبة.. عيون ناظرة.. عبايات سوداء.. سيوف.. خناجر.. ومناجل قاطعة..

كل ده حواليَّ.. الضلمة كفيلة إنها تصورلك عالم كامل من الوحوش والغيلان.

فضِلت أتحسس طريقي للوصول للكمودينو لكن رجلي داست على حاجة لزجة جدًا. رفعت رجلي بسرعة فاتكعبلت ووقعت على السرير.. أنا مش بس وقعت على السرير.. أنا وقعت على جثة عمي شحاتة..

لاقتني فجأة فوق الجثة، وحاولت أقوم بدون أي فايدة وكأن الجثة مسكت فيَّ، كل ما أحاول أقوم أقع تاني..

الدنيا ضلمة والجثة ملتصقة بيَّ، وأنا توازني اختل تمامًا، وماتنسوش في الآخر إني طفل..

بدأت أصرخ: يا بابا.. يا بابا.. يا بابا..

محدش سمعني بس بدأت أستعيد توازني، وقفت، وبدل ما أهرب، وقفت وولعت الأباجورة وبدأت أتأمل جثة عمي.. أول حاجة حطيت صباعي على وشه، وبدأت أضغط علشان أشوف أي رد فعل.. بعدها خبطت بإيدي على وشه وكررت الضربة أكتر من مرة لحد ما تقريبًا ضربته بالقلم.. رفعت إيده زي ما بيجي في الأفلام ورميتها.. بس اللي حصل إنها مانزلتش زي ما بيحصل في الأفلام.. إيد عمي فضلت متعلقة في الهوا، وحصلت أول صدمة، إيد عمي التانية لقيتها بتتحرك وبتحاول ترفع هي كمان.

نور الأباجورة اتطفا، ومن الخضة اتكعبلت ووقعت تاني على جثة عمي، لكن إيده مسكتني فرجعت أصرخ تاني وتالت..

باب الأوضة اتفتح ولقيت بنت عمي بتصرخ وتقول.. آهو.. نادر.. آهو..

دخل والدي وولع نور الأوضة

ولقتهم بصوا لي باستغراب واستنكار شديد.. لكن نظراتهم تبدلت، وبدأوا يبصوا لجثة عمي شحاتة ووشوشهم اسودّت فجأة، ومحدش اتحرك من مكانه وكأنهم اتشلوا بشكل جماعي مفاجئ!

بدوري بصيت لوِش عمي.. وياريتني ما شُفته..

عمري ما هنسى عينين عمي المفتوحة على الآخر وشفايفه المرفوعة، وسنانه الظاهرة اللي طابقة على بعضها وتخشُّبة.. صرخت تاني وتالت وعاشر لحد ما شالوني من عليه وبدأت أسمع جمل من عينة:

* هو إيه اللي دخّله هنا؟

* هو انتوا ما قفلتوش عين شحاته ازاي من وقت الوفاة..

* لا والله قفلناها وكنا رابطين منديل على وِشه وعلى راسه علشان «بُقه» ما يفتحش..

* الأوضة ما ينفعش تكون ضلمة كده..

* شغّلوا سورة «يس» أو افتحوا إذاعة القرآن الكريم.

- سندوني واتلفت له وهُمّا بيحاولوا يقفلوا عنيه بصعوبة لحد لما اتقفلت وشدّوا الملاية وغطوا وشه، ولكني شُفت عنيه بتتفتح والملاية خلاص بتقرب من وشه!

ماعلقتش وطلعت معاهم الصالة، وبدأت أسمع وصلات توبيخ

وتهزيء من البعض، ونُصح وإرشاد من البعض الآخر،

وصوت بيقول لأمنية أختي:

- روحي بيت جدك خليكي معاهم..

وصوت بيسأل والدي: هو أنت هتسكت، لازم تعمل لابنك «طاسة الخضة».

فسأل أحد الموجودين عنها إيه، فأجاب والدي:

- دي عادة مصرية قديمة بتعتمد على أدوات معدنية ولبن وتمر، وإن الشخص المخضوض يستحمى في مكان مكشوف بس بشرط القمر يكون مكتمل قبل أذان الفجر بساعة.. وبعدها بيهدا الشخص تمامًا، وكلام كتير من ده وده، وأصبحت أنا حديث القرية!

لكن الكلام كان بالنسبة لي عامل زي صدى الصوت.. أنا كنت في حتة تانية خالص..

أنا كنت بدأت أفكر في العالم الآخر، وإن الموت ليس مثلما كنت أظن..

الموت هو مرحلة أخرى تمر بها الروح.. ويجب عليَّ إني أدرسها وأفهمها أكتر.. وماتنسوش إني لازلت طفل غريب الأطوار.

وكان القرار لازم أحضر دفن عمي..

مش ممكن ومش منطقي إن طفل في السن ده تفكيره في الحاجات دي..

لكن ده اللي حصل.. وبدأت أصوات مايكروفونات الجوامع بعد صلاة الفجر زي ما عندنا بيحصل تقول الآتي:

بسم الله الرحمن الرحيم

إن لله وإنّا إليه راجعون.. توفى إلى رحمة الله.. المرحوم بإذن الله.. شحاته عبد الرحيم فودة.. والدفنة بعد صلاة الظهر من مسجد العباد الصالحين

والعزاء في دار ضيافة المركز والبقاء لله.

صوت اللي كان يعلن وفاة عمي في المسجد القريب من البيت تحس إنه هو أصلًا كان ميت، صوته عجوز ونحيف وكأنه يعلن الوفاة من داخل قبره.

وبدأت المساجد الأخرى تعلن الخبر، ومع أصوات النداء دي، تعالت صرخات الستات في البيت تشق ظلام الشارع..

زي ما يقولوا كانت ليلة سودا محدش نام منهم، دا غير اللي أنا شُفته وحصلّي..

بعد صلاة الفجر، لقيت عربية منزّلة كراسي ويترص قُدَّام البيت..

سمعت والدي يقول للراجل اللي بينزلهم: هتيجي بعد تلاتة أيام تاخدها إن شاء الله.. حياتك البقية

منظر غريب جدًّا، لو أنت غريب معدي في الشارع ممكن تفتكر جدًّا إن البيت ده فيه فرح من منظر الكراسي المرصوصة برَّه، ما احنا كده بنيان مرصوص في الفرح وفي الحزن كمان.

بعد الشروق بدأ أهل القرية من الرجال يجوا البيت، وبدأ الكلام بين عمي وواحد قريبنا يلفت نظري ويشدني، سمعت الحوار كله..

- يا مصطفى.. (مصطفى دا اسم والدي بالمناسبة).

- نعم ياحج مختار.

مختار : حد فتح التربة؟

مصطفى: لأ نزيه هياخد المفتاح وهيروح حالًا.

مختار : طيب خليه يشتري قفل باب جديد، أنت عارف التربة ما انفتحتش من إمتى؟

مصطفى: لأ مش فاكر.

مختار: دي يجي من عشرين سنة، من يوم سيدك فودة الكبير، وأخوك وصى يتدفن فيها مع سيده، دي وصية، ومارضيش يندفن مع أبوك!

والدي مصطفى: هي هتفرق يعني! آهي رمية في التراب يا حاج مختار.

مختار: لأ ازاي بقى هو وصّى، ودي وصية واجبة التنفيذ.

مصطفى: ماقُلتش حاجة، آدي نزيه آهو جه

نزيه: صباح الخير يا عم مصطفى (وهو بيتاوب).

والدي مصطفى: صباح الخير..

نزيه: لامؤاخذة يا حاج.. البقاء لله.

مختار: اصحى كدا وفوق، أنت عارف هتعمل إيه يا نزيه؟

نزيه: قولي يا خال وأنا تحت أمركوا.

مختار: هتروح وتاخد معاك أجَنَة وشاكوش لأن المفتاح أكيد مش هيفتح، ومصطفى هيديلك قفل جديد احتياطي علشان لو كسرت القديم، وخد معاك زيت ومقشة.. هتزيت القفل القديم قبل ما تجرب تفتحه، وهتكنس كويس قدام التربة، عاوزها زي البلاط.

ولما تدخل التربة سمّي وسلِّم واستأذن إننا هندخّل شحاته النهارده.. واكنس بالراحة و لولاقيت أي بواقي من أي حاجة سبها مكانها، ده سيدنا فودة الكبير.. إياك تزعله.

إوعى تقرب من أي حاجة باقية ده لولاقيت.. انشالله حتى لوحتت داية من كفنه الله يرضى عنه وعنا.

نزيه: حاضر يا خال، في حاجة تانية؟

والـدي مصطفـى: بُـص، بعـد الدفنـة عاوزيـن نجيـب قصـاري زرع ونحطهـا قـدام تربـة عمـك شـحاتة..

نزيـه: ولا قصـاري ولا حاجـة، همَّـا علبتـين سـمنة بنـزرع فيهـم صبـار ويتبقـى جيلـة.. القصـاري بتتـسرق.. أو العيـال بتكسرهـا.

مختار: يلا طيب روح وكفاية رغي.

نزيه: طب مفتاح التربة فين؟

والـدي مصطفـى: آهـو.. وخلـع مـن جيبـه سلسـلة مفاتيـح قديمـة وشاور على أقـدم مفتـاح فيهـا وقالـه آهـو دا يـا نزيـه.

نزيـه: خَـد المفتـاح وطلَّـع المنديـل وعطِـس كـذا مـرة واسـتأذن ومشي ومسـح المفتـاح بنفـس المنديـل!

والدي لاحظ اهتمامي بالحوار وقالي: أنت كويس يا نادر؟

نادر: أيوة أنا كويس..

والدي: متأكد؟

نادر: آه بس أنا ليَّ طلب..

الوالد مصطفى: إيه يا نادر؟!

نادر: بس من غير زعيق..

والـدي مصطفـى: مـش كفايـة اللـي عملتـه امبـارح.. أنـت إيـه اللي دخلك تنام جنب عمك أنـت فاكـره نايـم، أنـا عـارف إنـك بتحبـه، وكل حاجة..بس ده مـات يـا ابنـي.. فاهـم مـات يعنـي إيـه؟!

مات.. يعني ماينفعش تنام جنبه.. عمك كان تعبان وربنا ريحه..

نادر (عجبني تحليل والدي): حاضر فهمت..

والدي مصطفى: طب قولي عايز إيه؟
نادر: عايز اروح الترب مع نزيه.. وأدخل...
والـدي مصطفى بصوت عـالي: أنت اتجننت عاوز تدخل التربة.. تدخل مختار.. خير يا مصطفى فيه إيه؟
والدي مصطفى: اتفضل، الحلو عاوز ينزل التربة مع نزيه..
مختـار: خـلاص سبهولي يـا مصطفى وروح شـوف أنت النـاس اللي جاية تعزيك..

غادر والـدي وقرَّب منّي عـم مختار، وقـالي: تعرف يـا واد يـا نـادر ، أنت فكرتنـي بنفسـي وأنـا قـدّك كنـت بـروح بالليـل أحـدف طـوب عـلى الـترب عشـان أخـلّي الميتـين يطلعـوا.. وكنـت زعـلان عـلى أبويـا، وقلـت كـدا ممكـن أرجعـه تـاني لـو صحـي مـن الطـوب.

نـادر: بـس أنـا عـارف إن الميتين مش هتطلـع، أنـا عـاوز بـس أشـوف التربة من جوَّه.

نظرة مرعبة من مختار: طب إيه رأيك إني هخليك تدخل التربة وتدفن عمك كمان..

تهللت أساريري فرحًا وفضلت لازق في عمي مختار طول الوقت..
بس أمنية أختي لقيتها جاية تقولي: تعالى معايا.

طلعنا فوق سطح البيت وشُفنا كل الأجواء من فوق.. عرفت في اليوم ده معنى اليوم الأسود بكل معنى لذلك المصطلح .

شُفت نسـاء متشـحات بالسـواد ويتوافـدن مـن كل أطـراف القريـة ويدخلوا البيـت في أسراب سـوداء.. أمـا داخـل المنـزل فأقسـم إني ماشُـفتش غـير اللـون الأسـود ممتـد مـن بوابتـه ومدخـل البيـت وفنائـه، وبعدهـا اقتحـم اللـون الأسـود كل المنـزل زي الوبـاء المميـت..

فضِلنا فوق نتفرج لحد ما شُفنا حاجة خلتني نزلت أجري .

قبل الضهر بساعتين، لاقيت تلاتة كده بدقون داخلين البيت وشايلين شنط سودا. بصراحة خُفت.. وبدأت أركز.. سمعتهم بيقولوا: جبنا ورق السدر والمسك..

وهنا كانت أول مرة أعرف حاجة اسمها غسل الميت.

ودخلوا الأوضة ومعاهم أبويا وعم مختار وابن عمي، وقفلوا الباب، كنت هتجنن وأشوف.. لحد ما الباب اتفتح ووالدي خرج منهار من البكاء، وفضل يقول: آه يا خويا آه يا شحاتة.. يا ضهري..

الباب اتساب متوارب فسرقت النظر جوّه وشفت رِجل عمي وبعدها وشه.. أصفر شاحب.. خلّى دقات قلبي تتسارع.

ما أقدرش حتى أقول إنه أصفر، أنسب كلمة هي لون الموت..

كان شبه النايمين، لكن دقات قلبي المتسارعة كانت بتقول شيء تاني.

واحد من المغسلين اتحرك ووقف قدام وش عمي، وبعدها اتحرك من قدامه تاني فإذا بي أجد عمي عنيه مفتحة!!

أيوة مفتحة وبيضا تمامًا ومفيهاش النني الأسود خالص، حسيت بشعر راسي كله بيوقف وحرارة انتابت جسمي كله ومع كل هذه الحرارة رعشة عنيفة اجتاحت جسمي بالكامل انتهت مع الباب وهو بيتقفل من جوّه.. اتقفلت شاشة عرض أول فيلم رعب حقيقي أشوفه في حياتي .

الساعة دلوقتي ١١ صباحًا، ودخل مجموعة شباب شايلين نعش الأوضة اللي عمي فيها ودَخَلت المرة دي عادي لاقيت عمي عبارة عن مخدة.. بتفكيري وإدراكي وقتها، شُفت عمي كيس مخدة كبير وهو جواه.. الكفن الأبيض طبعًا ده المقصود.. لكن هو ده حجم إدراكي وقتها.

شالوه حطوه في النعش.. وهم بيقولوا بالراحة - الراس الأول - سمّوا الله.

وبدأت تتعالى صرخات الستات «الفاصل المعتاد في ذلك اليوم الأسود»

وطلعنا بيه على الجامع.. استنينا.. صلينا الضهر وبعدهاصلينا الجنازة وبعدها توجهنا بالنعش للمقابر عندنا

(أنتم السابقين ونحن اللاحقين)

ده النطق بالظبط اللي الحاج مختار قاله واحنا داخلين المقابر وأنا ماسك إيده وإيدي ضاغطة على إيده جدًا وكأني بحتمي بإيده وبتطمن بها.

ومشينا بين شوارع المقابر لحد لما وصلنا لمقابر عائلة فودة.. وأنا عمال أتأمل المقابر..

- المقابر عندنا غير عند ناس كتير..

ما بننزلش لها بسلم هي عبارة عن أوضة فوق الأرض بنفتح الباب، ونحط الميت ونقفل عليه..

الغريبة واحنا ماشيين بالنعش بقت فجأة الناس تغيّر اتجاهها فيحصل لخبطة ونقف ونرجع نكمل مشي.. لدرجة إننا فيه شارع في التُّرب مشينا وخلصناه ورجعنا جيناه من الأول تاني.. والناس واخده الموضوع عادي دون اعتراض.

شدّيت دراع عم مختار وقُلت له همّا بيقولوا سيبوه يسلم ليه! أنا مش فاهم!

مختار: عمك بيختار الشوارع إللي فيها حبايبه واللي سبقوه وجم هنا قبله فيسلم عليهم زي الحاج رياض والحاج رجب ومراته والحاج محمد والحاجة أنيسة سيبه يسلم يا نادر ويوصلّهم سلامنا كمان.

بعدما وقفنا قُدام التربة بتاعة فودة الكبير..

الحاج مختار شال الجثة، وقال إيدك معايا يا نادر وكأن دي الإشارة

شلت معاهم ودخلنا التربة.

ريحتها صعبة أوي.. ريحة مزيج من الرطوبة على عفن على روايح تانية متبقية.. ريحة الموت!

الحاج مختار: لفوا شحاته على القبلة يا شباب.

نيمناه على الأرض، وبدأ التُرَبي يعمل أكتر من حاجة رفع راسه بالراحة وزق من تحتها شوية تراب، وجه عند الكفن عند الوش تحديدًا وفك الكفن من غير ما يكشف وشه.. كل ده وأنا متنح لأول مرة أخوض تجربة زي دي..

وصاح الحاج مختار: مع السلامة يا شحاتة.. السلام أمانة لسيدي فودة، وسمعت صوت والدي مع السلامة يا أخويا لحد ما أجيلك.. مع السلامة يا حبيبي.. سلم على أبويا .

وخرجنا واتزرع الباب وصاح أحدهم:

- اسألوا لأخوكم التثبيت إنه الآن يُسأل.

ومشينا وسبناه وحيد..

الله اعلم مصيره إيه؟ لكن المهم إننا سِبناه زي ما سبناه قبل كده وقفلنا عليه باب الأوضة.. وأنا دماغي تشبعت جدًا باللي دخلها من معلومات.

مرت الأيام والعزاء خلص.. وفي تالت يوم العزا سمعت عن حد مات تاني من القرية اتسحّبت من البيت..

لقتني لا إرادي رايح الدفن، وفضلت أدخل وسط الناس لحد ما وصلت للقبر ووقفت برّه.

التربي وأهل الميت فتحوا القبر وعملوا نفس اللي اتعمل مع عمي.

كنت واقف عند باب القبر أتأمل بتركيز أكبر من المرة اللي فاتت

ويجـرأة أكـبر.

وعينـيَّ عبـارة عـن مرصـد يراقـب كل مـا يحـدث ويسـجل بأعـلى جـودة، وتسـاءلت هـو أنـا كنـت جـوَّه زي النـاس دي كـده وأنـا بدفـن عمـي!

وقررت وقتها إن الموضوع مش هيكون بجرد تاني وآخر مرة أبدًا..

عـدت للتجربـة دي وفضِلـت فـترة أكرر..أكـرر الموضـوع ونسـيته..لحد لما دخلـت لمرحلـة جديـدة بتجربـة جديـدة تانيـة خالـص مرحلـة عمـر ١٥ سـنة- ١٧ سـنة تقريبًـا.

***

# الفصل الثاني

## الحاج مختار مارد المصباح

بطلة هذا الفصل هي مروة بنت خالتي.. مروة عمرها ٢٢ سنة، ومشكلتها بالنسبة لهم عندنا كانت مشكلة عويصة جدًا.

مروة اتقدم لها عريس رفضته، وبعده ٢ كمان رفضتهم (بارِت) أبوه بارت وهي عندها ٢٢ سنة!!

خالتي صفية جت عندنا البيت لوالدي ووالدتي ودار الحوار الآتي:

«ملحوظة»:

- الحوار ده هتلاقيه دار عندك أو عند حد من قرايبك أو معارفك فهتحس بالألفة جدًا وأنت بتقراه.

خالتي صفية: يا مصطفى أنا جتلك تلحقني، أنت مكان المرحوم ومحدش واقف معانا من وقت وفاته غيرك أنت وأختي.

والدي: خير يا صفية إحنا أهل وانتوا أمانة في رقابتي.

صفية: مروة بتضيع مني! يا مصطفى!

والدي: يا ستار يارب..

صفية: البت حالها اتبدل من ساعة ما فسخنا الخطوبة مع بهي زفت أكرم.. جالها بعده كذا واحد، البت ما بتديش حد فرصة تقعد حتى معاهم.. بمجرد ما بتسمع السيرة بتنقلب وتزعق وتقول مش هقابل حد.. زي المجانين..

والدي: طب مش يمكن عايزة حد معين يا صفية؟

صفية: دا أنا كنت دبحتها..

والدي: ادبحيها ماشي بس ماترجعيش تصوتي وتقولي البت مالها.

اتلخبطت صفية: طب والله سألتها وكنت خايفة قامت مزعقة وفضلت تصوّت: «مش عوزة أتجوز خالص» لحد امبارح يا اخويا لاقيتها بتقولي وهي بتضحك: أنا أكرم بيجي في بالي كتير وحاجة بتقولي أرجع له.

والدي: طب سهلة ممكن أتدخَّل أنا وكأني بتكلم من وراكي وأرجّعهم لبعض.

صفية: المصيبة إنها قالت لي يا ماما أنا مش طايقاه ويكرهه ومش عارفة ازاي فكرت تاني فيه.. بس مسيطر على تفكيري!

-أنا بقى كنت فين من الحوار ده.. كنت قاعد في ركن في البلكونة مستخبي ويسمع قصة حياة مروة بنت خالتي المجنونة.. اللي مابطقهاش أصلًا.. وشايفها مجنونة ومتخلفة كمان!

ويسمع باقي الحوار:

خالتي صفية: بالله عليك يا أبو نادر شوف لنا شيخ أوحد يقرا عليها، البت حالها اتبدّل وعمالة تخس! وحياة أمنية بنتك!

- بالمناسبة مروة ما شاء الله ممكن تاكلك أنت شخصيًا.. قالك تخس!

والدي: ما أنا لسه شايفها الأسبوع قبل اللي فات وكانت ما شاء الله أدّ الفيل.

والدي كان بيحاول يفك شوية من التوتر.

صفية: والله لو شُفتها تصعب عليك..

والدي: خلاص أنا هكلم الحاج مختار ونشوف هنعمل إيه!

{الحاج مختار تحس إنه مفتاح اللغز دايمًا}

ويمكالمة تليفون مفيش نص ساعة وكان الحاج مختار موجود وتكرر الحوار اللي دار بين والدي وخالتي صفية بالكامل.

بس اللي حكت المرة دي والدتي وخالتي مع إضافات عجيبة جدًا وصلت تقريبًا إن البنت مابتاكلش من سنة ونص!! وإنها ممكن تمشي وهي نايمة وممكن تصور قتيل، وأنا برّه قاعد بضحك وأستمتع بكدب الستات المعهود «أصل الستات فعلًا مايعرفوش يكدبوا».

الحاج مختار: طيب هاتوها وهنروح للشيخ لطفي.

خالتي صفية: لأ دي لو عرفت ولّا جبت لها سيرة هتفضح الدنيا دي بقت مخبولة.

الحاج مختار: طب والعمل.

والدي: بصوا أنا عندي اقتراح انتي هاتيها هنا واحنا هنجيب الشيخ لطفي ووقتها ربك يحلها.

الاقتراح لاقي استحسان من الجميع.. وخلصت القعدة بخروج ماما للبلكونة وتهزيقها ليَّ وهاتك يا قرص «من اللباليب»

وانتهت القعدة..

وأنا بدأت أفكر بما إني اتفضحت.. إزاي هحضر قعدة الشيخ لطفي مع مروة.. لازم حل.. ما هو لازم أتفرّج وأشمت في مروة شوية.

- بس عرفت!

مكنش فيه غير الحاج مختار أبويا الروحي.. اللي مجرد ما قلت له عينيه لمعت وابتسم ابتسامة شريرة وقالي: يا واد أنت بتفكرني بشبابي ويبدأ يسرد بطولاته، وأنا عامل مهتم عشان عارف إنه الوحيد اللي هيقدر يدخّلني معاهم وهسيبه يرغي شوية وهاخد اللي عاوزه في الآخر.

كلامي معاه كان قُدّام بيته واتفاجئت لما قالي إحنا هنيجي بعد العشا وخالتك وبنتها هييجوا بعد المغرب.. مكنتش أعرف إن المعاد اتحدد كمان.

رُحت بسرعة كنا العصر.. وتعمدت أكون مطيع جدًا وأساعد في البيت أدّ ما أقدر عشان يرضوا عني.. والباقي على عمي مختار زي ما وعدني.

ومع أذان المغرب كانت خالتي صفية جَت ومعاها مروة واللي بدون أي مبالغة فعلًا اتحولت.

وشها سودّ خست جدًا وده مصلحة الحقيقة..

الحزن مسيطر عليها.. مشْ مركزة.. تايهة، والدي وهو بيسلم عليها فضلت بصة له وماامدتش إيدها فأحرجت والدي قامت خالتي شدت إيدها وخلتها تسلم فبصت لوالدي وقالت بتوهان: أهلًا يا عمي.

من الآخر: مابقتش مروة اللي دايمًا بتّاكف في بعض!

حاولت أنكشها بأكتر من طريقة كانت بتبتسم ابتسامة باهتة جدًا وماترودش. ماما لما شافتها دخلت المطبخ بسرعة وعيطت ونادت على والدي وقالتله: صفية ماكانتش بتبالغ يا مصطفى.

وردة والدي: أنا مصدوم من شكلها.. البت اتبدلت! أنا خايف تكون عيانة. ظهر صوت خالتي صفية بالراحة واحنا واقفين:

- وديتها يا مصطفى لدكاترة باطنة وأنف وأذن وحنجرة وقلب وعملت تحليل الفيروس.. آخر حاجة قالوا لي اكشف على الأذن الوسطى كل حاجة سليمة!

والدتي: بصي ومن غير زعيق نتزل بيها على مصر نوديها لدكتور نفسي.

خالتي: موافقة بس بعد ما الشيخ يشوفها.

والدتي: طب يلا اطلعوا كلكوا عشان ماتاخدش بالها.

قعدنا كلنا نتكلم في مواضيع نضيع بها الوقت لحد العشا والكل ساكت ومستني جرس الباب.. وصوت عقارب الساعة مستفز ونقط ميَّه حنفية الحمّام بحرق الدم.

وصوت أنفاس مروة غير المنتظمة لافت للنظر.. دقايق تمر ببطء مميت.. حتى أختي ماكانتش موجودة تقعد معاها تسليها شوية.

لحد ما جرس الباب رن الكل اتنفض في مكانه.. وأنا قمت بسرعة أفتح الباب.

ودخل عم مختار ومعاه واحد أعرفه شكلًا بشوفه في المسجد أحيانًا وأحيانًا في المقابر وآخر مرة شُفته كان يوم صلاة العيد اللي فات الناس كانت كلها متجمعة حواليه.. آآه هو ده بقى الشيخ لطفي..

دخلوا، فبابا طلب من الحريم يدخلوا أوضتي جوَّه..

وقعدنا إحنا الأربعة.. فبابا بَص لي وقال:

والدي: نادر قوم اتفرج على التليفزيون في أوضتي أنا ووالدتك.

أنا: مش عاوز أتفرج.

والدي: خلاص روح عند ولاد عمك ولا عند جدك.. أختك هناك.

أنا : مش عاوز أروح يا بابا.. أنا هقعد معاكوا.

والدي: قلت روح بيت عمك، أنت راجل ولازم تزورهم.

أنا: بابا أنا عاوز أشوف اللي هيحصل.

والدي برق عينيه: «تشوف إيه هوفيلم»!

تدخل الحاج مختار: مصطفى ابنك كبر و ما شاء الله عليه جريء ويفكرني بشبابي ماشفتوش وهو بيدفن عمه وكان لسه عيل!

والدي: يا حاج مختار دي حاجة ودي حاجة، هوأصلًا مش فاهم حاجة.

تدخلت قائلًا: لأ فاهم مروة عليها عفريت والشيخ هيطلعه.

الحاج مختار ضاحكًا: شُفت.. آهو عارف وجايبالك على بلاطة..

ووالدي فضل لمدة طويلة مش مستوعب إني قولتهاله في وشه كده إني فاهم كل حاجة وعارفها..

واني مش عيل ولا حاجة..

وبدأوا يرقبوا الموضوع هيمشي ازاي وخرج الشيخ لطفي شنطته.

طلب من والدي ينادي على والدتي..

حضرت والدتي

فإذا بالشيخ يعطيها إزازة صغيرة وقالها اخلطيها بلتر ميه وإداها وكيس أسود فيه ورق شجر قالها اغليه في حلة ميَّه كبيرة.

دخلت والدي وعادت بعد نُص ساعة معلنة انتهاء المهام، طلب منها تحط المية الأولانية في زجاجة ميَّه معدنية وتجيبها وتسيب التانية في المطبخ.

بعدها دخل والدي الأوضة وإحنا برَّه عند باب الأوضة وساب الباب مفتوح، كانت مروة وخالتي صفية جوّه.

فاقترب والدي من مروة وقالها:

والدي: مروة حبيبتي انتي عارفة إني مكان والدك.

مروة: خير يا عم مصطفى فيه إيه؟

والدي: الشيخ لطفي.. مالحقش يكمل كلامه.. قامت مروة وقفت.

مروة: شيخ ليه؟ عملتيها يا ماما؟ شيخ ليه؟ حد قالك عليَّ بقطَّع في شعري!

والدي: مروة، أنا مش شايف داعي للثورة دي كلها.

الشيخ لطفي خبط على الباب ودخل وقال وهو داخل: بسم الله وبحوله وقوته نستعين..

أقسملكم بالله مروة عينها عملت حركة غريبة جدًّا.

بالظبط بصت للسقف وبعدها لأركان الأوضة.. عينيها اتحركت بسرعة شديدة جدًّا.. وهي ساكتة.

بغضب الشيخ لطفي قال: لا مفيش مكان تروحه.. اهدا كده خلينا نتفق وتخرج بالذوق أحسن.. الشيخ لطفي كان بيتكلم بنبرة قوية تخوّف جدًّا.

مروة قعدت في هدوء واستسلام .

خالتي قامت خرجت من الأوضة بإشارة من الشيخ لطفي.

وفضل في الأوضة والدي والشيخ لطفي، وأنا وعم مختار واقفين برَّه لقيت عم مختار زقّني بالراحة وقفل الباب بهدوء وفضل برَّه.

دخلت خالتي ومعاها ملايه ما أعرفش ليه.. المهم قَعَدت جنب مروة، والشيخ لطفي بدأ يقرأ آيات كتير من القرآن فاكر منهم تحديدًا المعوذتين وآية الكرسي فضِل يقرا ومروة كانت ساكتة لحد ما خلص قالها اقفي يا مروة..

بعدها وقفت

قال: بسم الله بسم الله بسم الله..

لواللي عليها مَسّ ترفع إيدها اليمين

ولو اللي عليها جن من سحر ترفع إيدها الشمال

فرفعت إيدها الشمال ببطء

فبدأ الشيخ يزعق: يلّا خلصوني فرفعت إيدها أسرع

قالها: خلاص نزليها يا مروة .

اقعدي يا مروة

بدأ يقرا أكتر وبدأ يقول بسم الله..

اللهم أعِنا على تطهير جسم مروة من كل مس أو سحر أو شر و أذي

بدأت مروة عينها تتقلب ودماغها ترجع لورا.. سندها بابا وخالتي وقعّدوها على كرسي وميّلت رأسها لورا وشِبه نامت.. الشيخ لطفي كمّل قرايته للقرآن والأذكار..

بدأت تتكلم بصوت ضعيف، بقيت مركز عشان أفهم:

كانت بتقول: خلاص أنا تعبت خلاص.

الشيخ لطفي: هو إيه اللي خلاص.. انت إيه اللي جابك عندها؟!

مروة: خلاصُ أنا تعبانة يا ماما..

عملت مروة بإيديها حركات كأنها بتحوّش حاجة جاية عليها.

فضل الشيخ يقرا، وقال بأمر الله وبحوله وبقوته آمرك بالخروج..

مروة ساكتة خالص

الشيخ لطفي: اسمك إيه؟

مروة بصوتها عادي جدًا: إدريس..

الشيخ لطفي: طب يا إدريس اخرج دلوقتي.

مروة: ساكتة..

الشيخ لطفي: طيب كده؟ ويبدأ يقرأ أكتر..

ها يا إدريس..

مروة: بدأت تتنفس بسرعة شديدة وصدرها يطلع وينزل بسرعة..

الشيخ لطفي: يلّا اخرج وماترجعش تاني أبدًا..

مروة قامت فجأة وقفت.. أنا أقسم بالله قلبي وقع في رجليَّ..

- مروة بصت للكل واحد واحد وبصت لي أنا بصة عمري ما هنساها

الشيخ لطفي بدأ يزعق كأنه بيتخانق مع حد يعرفه.. مروة اترمت على الكرسي، وطلب من خالتي تغطيها بالملاية.. ويبدأ يقول أدعية كتير، وبدأت مروة تتشنج وتصرخ، ويبدأ صوتها يخشن ويتخن وتقول كلام غير مفهوم نهائي، كلام يشيّب من أسلوب الكلام ونبره الصوت.. أنا نفسي كنت خايف منه.

أما مروة فعملت زي أفلام الرعب وقالت للشيخ لطفي وهي بتصرخ:

لأ لأ.. ماتحاولش.. هموتهالك.. قبل ما أخرج منها.

الشيخ لطفي: أقسم عليك بالخروج.. أقسم عليك بالمغادرة.

مروة: خلاص.. خلاص.. ارحمني..

الشيخ لطفي: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وما خلقت الإنس والجن إلا ليعبدون﴾

اخرج الآن..

بسم الله الرحمن الرحيم:

﴿والصافات صفا فالزاجرات زجرًا فالتاليات ذكرًا إن إلهكم لواحد رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق﴾

- زادت تشنجات مروة..

الشيخ لطفي: يا معشر الجن، أناشدكم بالعهد الذي أخذه عليكم سليمان بن داود أن لا تظهروا لنا ولا تؤذونا.. ومن تجاوز منكم العهد فعليه من الله ما عليه.

وطلع الشيخ لطفي الإزازة اللي ماما حطيت عليها الإزازة الصغيرة ورشّت على وش مروة..

مروة كأنها اترش عليها مية نار.. فضلت ترعش، وبعدها وقعت على الأرض.. وخالتي بدأت تعيط وتصرخ.. وحملها والدي وأنا ساعدته ونيمناها على السرير وطلب من والدتها تسيبها نايمة.

الشيخ لطفي: بصوا سيبوها هي هتنام غالبًا للصبح - بس بكرة الميَّه المغلية بورق السدر حد هيقرا عليها قرآن من الليلة آيات معينة، ولازم مروة تستحمى بيها الصبح والميه اللي هتقع ماتترميش في الحمَّام، تترمي في جنينة البيت..

التزم الجميع بتفاصيل الأوامر.. لكن أنا كنت في ملكوت تاني!

إيه العالم ده!

إيه ده!

هل ده كلام حقيقي؟!

هل ده تخريف؟

أسئلة كتيرة يصعب على أي حد في سني يلاقي لها إجابات.. لكن بعدها اللي حصل إن مروة فاقت، وحاولنا نعرف منه هل خطيبها الأولاني ورا كل ده! لكن ما أدناش إجابة..

الشيخ لطفي بعد ما أنهى مهمته قرَّب منّي وقالّي: الحاج مختار مبسوط منك وأنا كمان.. لوحبيت تيجي معايا كذا جلسة جاية تعالى..

عينيا أنا لمعت من الفرحة..

وبدأت أعدّ الأيام والليالي..

وعرفت بعدها إن ده كان بتوصية من الحاج مختار وصاه إنه ياخدني معاه أساعده وأتعلم منه كمان..

بالمناسبة: مروة بنت خالتي بعدها قبل ما أنسى في تفاصيل الحدوتة: اتجوزت والمفروض إن حياتها استقرت، بس ما اتجوزتش أكرم.

والمفروض إن عمي مختار هو إللي هيبلغني بالمكان والزمان، عدّى يجي شهر.

كنت بدأت أشتري روايات ما وراء الطبيعة للدكتور أحمد خالد توفيق وأعجب بفكرة الشخص المتخصص في مجال ما وراء الطبيعة..

وقررت أعمل زيه و أكتب كل التجارب اللي مريت وهمرّ بيها..

بعد الشهر قابلني الحاج مختار «أبويا الروحي» وقالي بكرة بعد صلاة المغرب عدى على الشيخ صلّي معاه العشا في الجامع وهياخدك معاه وأي حد هيسألك أنت مين، قول أنا مساعد الشيخ.

وبدأت هنا رحلتي مع الشيخ..لطفي.. مرحلة جديدة.

***

# الفصل الثالث

## رحلتي مع الشيخ لطفي

في المكان والزمان المتفق عليه حضرت.. وقابلت شيخنا ورحّب بيّ جدًا..

أول ما صلينا العشا لاقيت راجل جاي بسرعة وسلّم على الشيخ وقاله يلّا بينا بص لي الشيخ لطفي، وقال: يلّا يا نادر في إشارة منه إن ده تبعي توجهنا للبيت اللي فيه المشكلة..

أول ما دخلنا الشيخ سند عليا وقال: بص يا نادر دايمًا وُحنا داخلين تسلم على أهل البيت وعمار البيت..

نادر: عمار إيه؟

الشيخ لطفي: أهل البيت من الجن بيوتنا مش بتاعتنا لوحدنا.

البيوت فيها حاجات كتير جدًا..

إحنا جزء منها.. العمار هم أهل البيت من الجن اللي عايشين زينا بالضبط.. وعشان كده بنقول دايمًا ما حدش يرمي ميّه سخنة في الحمّام بالليل.

محدش يغنّي قدام المراية!

محدش يخبط جامد على الأرض بالليل

محدش يحدف طوب على الحيطان

كل ده منعًا إننا نأذيهم.. همّا أصلًا في حالهم.. لكن التعرض لهم بيخليهم في حالنا!

البيت كان فيه زوج وزوجة حديثي الزواج عادل وناهد.. ووالد الزوج.. كانت أول مرة أسمع كلمة غريبة جدًا اسمها: الربط..

واللي مايعرفهاش دي حالة غالبًا نفسية بتصيب الزوج تمنعه عن القيام بالعلاقة الزوجية، وممكن تصيب الزوجة وبتكون أسوأ بكتير من حالة الرجل.

طبعًا اللي في سني نهايات ال ١٦ سنة كان الموضوع مش محرج خالص.. بالعكس كان الفضول ساحرني وعاوز أفهم أكتر..

قعد الشيخ مع الزوج اللي تردد يتكلم في وجودي، ولكن الشيخ قاله اتكلم عادي، ويبدأ الزوج يحكي كلام غريب جدًّا عن رفضه لزوجته طول ما هي قدامه، ومجرد ما يبعد عنها بيحس إنه متقبلها جدًّا.. يرجع تاني يشعر بنفور تام.. ومع محاولات مستمرة بدأت هي كمان ترفضه لكن الزوج همس ببعض الحاجات للشيخ لطفي وكان واضح إنه مكسوف يتكلم قدامي عنها..

هز الشيخ لطفي رأسه معبرًا عن تفهمه، وبعد كده طلب الجلوس مع الزوجة.

وبدأت الزوجة تحكي إنها في أول مرة كانت عادي لكن المشكلة إنها في

يوم صحيت من النوم وراحت المطبخ بالليل لاقت التلاجة مفتوحة وحد واقف بيشرب.. بتقول إنها كانت متأكدة إن عادل كان نايم فضلت واقفة متخشبة مصدومة وحاسة إني اتخرست عاوزة أصوّت مش عارفة..

وقفته قُدّام التلاجة ومديلي ضهره وثباته راعبني..

عاوزه أنادي على عادل جوزي مش قادرة

عاوزة أجري أهرب رجليّ اتشلت

لحد ما هو قرر يتلفت ويبُص لي.. هو شخص قريب لشبه عادل جوزي لكن عينيه حمرا زي الدم.. بشرة داكنة جدًّا.. انعكاس ضوء التلاجة على رأسه ووشه مخليه كأنه خارج من جهنم.

ابتسم وسنانه بانت بيضا جدًّا خلته يخوفني أكتر.. وفتح بُقه ومانطقش، فتح بوقّه وفضِل ساكت على كده وعينه مشتعلة باللون الأحمر، وبدأت أسمع صوت بيتردد حواليّ: أنا جوزك مش هو..

مش فاكرة اللي حصل بعدها..

غير لما فُقت وعادل قالي إني صرخت وصحي لقاني واقعة في المطبخ..

بعدها بأقل من أسبوع صحيت بردوعلي صوت حاجة بتخبط في الحمّام؟ فضلت أصحّي في عادل لكن كان نايم زي الأموات وقالي: نامي وبطلي شغل المجانين بتاعك ده.. زهقت منه ودخلت المطبخ وأنا متأكدة إني هلاقي حاجة غريبة فإذا بي ألاقي نفس الشخص واقف ومشغّل خلاط العصير وبيعمل عصير زي ما عادل جوزي دايمًا بيعمل..

أول ما حس بوجودي اتلفت لي، بس المرة دي كانت تشكّل بهيئة عادل تمامًا وشكله مايخوفش نهائي.

وابتسم وقالي: خير يا ناهد.. أعملك عصير معايا؟!

صرخت وطلعت أجري لقيت باب الأوضة مقفول، حاولت أفتحه ماتفتحش، فضِلت أخبط يا عادل.. العفريت برّه.. العفريت برّه يا عادل..

الباب اتفتح لوحده، دخلت بسرعة لاقيت السرير فاضي وعادل مش موجود..

سمعت من ورايا صوت بيقولي: يا ناهد يا بنتي أنا عادل والله، اتلفت ورايا صوت وأغمى عليّ تاني.. واكتشفت إن اللي كان في المطبخ هو عادل فعلًا.. أما اللي كان نايم جنبي هو مين!! ما أعرفش.

يوم ورا يوم بدأت يجيلي نفور شديد من إني حتى أشوفه.. ولعلمك هو كان عنده مشكله فالحال من بعضه..

الشيخ لطفي: لأ الحال مش من بعضه ولا حاجة.. عادل بنسبة ٧٥٪ سليم المشكلة عندك انتي.. انتي يا بنتي مرصودة وفيه غالبًا جن هو اللي عمل فيكي كده ووصّل جوزك للمرحلة دي.

ناهد: يعني إيه!

الشيخ لطفي: لأ هنشوف.. نادي لجوزك ووالده..

خرجت ناهد ورجعت وهُمّا معاهم وقعدوا وبدأ الشيخ لطفي يتكلم.

الشيخ لطفي: بصوا في الغالب إن ناهد المشكلة عندها هي، أنا هقرا عليكوا انتوا الاتنين وهشوف بعيني.. بس اللي هلاقي عليه جن راصده هيكون عقابه شديد، وبدأ الشيخ لطفي يزعق ويبرق عينيه بأمر الله لما هنعرف مين فيكوا مرصود هنأذي بأمر الله الراصد هنأذيه أوي.. سامعين؟!

هيندم وهيترجانا نسيبه يمشي لكن مش هنسيبه.. سمعني.. هنحرقه.. هنحرقه!

عادل: ربنا يقويك يا شيخ لطفي.

أما ناهد، فقامت وقفت: أنا عندي صداع وعاوزة اخرج.

الشيخ لطفي: اقعد.. اقعد بقولك.. ولما أنت جبان كده بتدخل حاجة كبيرة عليك ليه؟

ناهد بصت للشيخ للشيخ بصة كلها غضب وقربت جدًا منه.

الشيخ لطفي: قُلت اقعد.. انت هتكون أقوى من مين يعني.. عدى علينا زيك وأسوأ..

قعدت ناهد وبدأ الشيخ يقرأ آية (يفرقون به بين المرء وزوجه لآخر الآية)

ناهد وقعت على الأرض وفضلت تسد ودنها وتصرخ بهستيريا، نزل الشيخ لطفي جنبها وقرب أكتر من ودنها الشمال وقرأ (سورة الفلق) وقرب من ودنها اليمين وقرأ (سورة الناس).

ناهد سكتت خالص وهديت تمامًا فشالها عادل وقعّدها على الكنبة وبدأ الشيخ لطفي يكلمها:

- حاسة بإيه دلوقتي؟

ناهد: مش عارفة..

الشيخ لطفي: حاسة إنك هادية ودماغك رايقة أو بمعنى أصح.. فاضية.

ناهد: آه بالظبط وكأن في وّش في دماغي وراح.

الشيخ لطفي: وعاوزة تنامي..

طيب بصوا وركزوا معايا..

ناهد كان عليها جن عاشق وده له أكتر من مصدر، ممكن يكون من الحمَّام وده مستبعد إنك اتمسيتي في الحمَّام..

لكن ممكن تكون خطّيتي على حاجة أو شربتي حاجة.. وده برجحه أكتر..

حاولي تفتكري معايا يوم شربتي حاجة عند حد وتعبتي جدًّا بعدها أو يوم لقيتي ميَّه مدلوقه على باب شقتك؟

أو جالك مكالمة حد بيقول فيها كلام انتي مش فاهماه؟

افتكري يا بنتي واستعيني بالله .

ردت ناهد: لا أنا هقول لحضرتك حاجة.. يوم الفرح حصل حاجة وما أعرفش هل أنا سيئة الظن ولّا إيه..

كنا بنرقص، وكنت عرقانة، فلاقيت سوزان بنت عم عادل قامت من على الترابيزة وطلّعت منديل من شنطتها ومسحت ليَّ وشي بالراحة وخدت المنديل وقعدت تاني..

ناهد: فاكر يا عادل لما كنا بنتفرج على شريط الفرح انت نفسك علقت لكن أنا معلقتش

عادل: فعلا هي قامت عملت كده بدون مناسبة وقعدت تاني.. بس مقدرش أظلم حد..

ناهد: واضف لمعلوماتك يا شيخ لطفي إن سوزان كانت هتموت وتتجوز عادل..

الشيخ لطفي: طيب بص يا ناهد الجن أنا طفّشته لكن هيرجع

تاني، وممكن يكون أشرس لكن أنا هطلب منك كذا حاجة تحصين كده لو عملتيهم مش هيعرف يدخل تاني.

وبالنسبة لسوزان دي حرصوا منها لا تاكلوا ولا تشربوا منها أومعاها .خدي الحاجات دي اشربيها كل يوم - وكلي ٧ بلحات يوميًا لمدة أسبوع .

صلوا جماعة.. وهنجيلكوا كذا مرة وكله هيبقى تمام بأمر الله.

مشينا وبدأت أكوّن أكتر خبرة.. وتكررت بالفعل الزيارات، وكل مرة كنا نروح كنا نلاقي الجن العاشق ده رجع ويطرده ويرجع زي ما تكون معركة باردة بينه وبين الشيخ لطفي.

لحد آخر مرة ناهد فضلت تعيط وتقول: سيبه.. سيبه.. أنا تعبت. ولكن الشيخ في الآخر يا إما فعلًا أنقذهم أو الأيحاء خيل لهم إنه عالجهم! أصل أنا برضو لسه جوايا بعض الشكوك..

واتعالجوا واتعالج غيرهم.

وفضِلت تلميذ نجيب للشيخ لطفي.. وبابا كان متقبل الموضوع خصوصًا إني بقيت ملتزم بالصلاة جدًّا.. وفضِلت معاه لسنوات يمكن لحد ما بقى عندي ٢٠ سنة.. وبقيت الشاب اللي ترعرع في كنف الشيخ.. وبقى أي حد يعوز الشيخ لازم يرجع لي.

تعرفوا إن البعض سمّاني الشيخ نادر..

في الفترة دي وقبلها، كنت دخلت الكلية وقرّبت أتخرج وبدأت أكتب عن تجاربي مع المواقف دي متضمنة وجود الشيخ لطفي ،وبما إني إعلام قسم صحافة كنت بدأت أوثّق كل تجاربي معاه بشكل أكثر احترافية.

كنت بدرس في القاهرة وحياتي رايح جاي شبه يوميًا كنت لازم أفضل

موجود في البلد عشان ما أسيبش الشيخ لطفي أبدًا صداقاتي محدوده في جامعتي مثلما كانت في مدرستي - أنا شخص غير اجتماعي محب للعزلة.. الصبح بدرس ومساءً بتعلم من الشيخ كل يوم حاجة جديدة.

لحد ما حصل حاجه قلبت الأمور رأسًا على عقب كنت في جلسة مع الشيخ لطفي كنا تحديدًا مع شاب بعد وفاة والده فضل يروح القبر لحد ما قالوا إنه اتمس.

والحالة طولت، وأثناء جلسة العلاج والده قال:

- والله يا شيخ لطفي كل اللي حضرتك قُلت عملناه وعملنا أزيد من لما رُحنا العزبة الغربية وقابلنا الشيخ الوقاد!!

الشيخ لطفي قام وقف وقال

الوقاد؟! أعوذ بالله؟!

والد الشاب: إحنا هنعمل إيه بس!

الشيخ لطفي: تعملوا إيه! لو هتروحوله تاني أنا منسحب!

والد الشاب: لأ ولا هنروح له تاني ولا هنعبره، الواد أصلًا في النازل من يوم ما نزل التربة!

إيه؟ ده مش صوت الشيخ لطفي.. ده صوتي

رد عليا والد الشاب: آه والله يا أستاذ نادر وعملنا أكتر من كده ورينا يسامحنا على اللي عملناه.. ده الراجل ده خلَّص على كل اللي حليتنا يا ابني.

نادر «أنا»: عملتوا إيه تاني؟

الشيخ لطفي: إيه؟ أنت عاجبك الموضوع

نادر: لأ أنا بسأل بس أول مرة أسمع اسم الوقاد ده!

الشيخ لطفي: لوجبت سيرته تاني يبقى كل واحد من طريق!

للدرجة دي الشيخ لطفي كارهه وغيران منه!

نادر: خلاص يا سيدنا أنا بس محتاج أفهم.

الشيخ لطفي: لما نخرج.

خلصنا الجلسة وخرجنا

الشيخ لطفي: قبل ما تسأل، الوقاد ده بالبلدي «دجال» عارف يعني إيه دجال؟

الوقاد ده لا شيخ ولا يمت بصله للمشيخة - ده ساحر مسخر جن كافر.. بيعالج بطلاسم وشمس المعارف الكبرى.. وآخر حاجة بيستعملها هي كلام ربنا وكمان بيحرَّفه!

نادر: أنا عاوز تفاصيل..

الشيخ لطفي: تفاصيل إيه بقولك بيعمل كل حاجه حرام تتخيلها لا قرآن ولا إنجيل ولا أي كتاب سماوي يرضى باللي بيعمله يا ابني ده نجس.. والناس بتكرهه هو ابنه..

ابنه من وهو عيل صغير الكل بيخاف منه! وحكايتهم غريبة..

الوقاد ده شر ماشي على رجليه يا نادر.. اللهم بلغت اللهم فاشهد.

نادر: طيب أنت اتضايقت ليه من سيرته، ما الدنيا مليانة ناس وحشة عادي.

الشيخ للطفي: عشان احنا بنمشي بكلام ربنا وده ماشي بكلام الشيطان!

نادر بخبث شديد: مش غيره، زملاء المهنة يعني؟

الشيخ لطفي بغضب: سلامو عليكوا..

سابني الشيخ لطفي ومشي وكان واضح جدًا إني ضغطت وزهقته مني وضايقته.. بس الحقيقة أنا مش عاوز أضايقه أنا عاوز أعرف منه أي معلومات عن الوقاد ده، اللي علقني أكتر رد فعله ووشه اللي اتقلب أول ما سمع سيرته!

***

# الفصل الرابع

## الوقاد

روّحت بيتي وأنا دماغي بدأت تغير خط سيرها تمامًا.

أنا زهقت بصراحة، وكنت بدأت أمِلّ تمامًا وأحس إن الأمر أصبح متكرر ومتوقع كل اللي هيحصل في أي جلسة علاج.. أنا محتاج أجدد!

نمت.. وقبل ما أنام، كتبت شوية حاجات خاصة ببحث في الكلية، وكان القرار. الصبح هروح لأبويا الروحي.. طبعًا كلكوا عارفينه.. عم مختار.

رُحت الكلية وطول ما أنا قاعد سرحان وعندي شغف وقلق وخوف خلصت يومي سريعًا ورُحت أثبت حضوري سريعًا لوالدي ووالدتي.. لكن والدي قالي نادر أنا عاوزك ضروري.. قولتله طيب ممكن لما أرجع.

والدي: يبقى اللي سمعته صح.

نادر: سمعت إيه يا حاج مصطفى.

والدي: أنت زعلت الشيخ لطفي فعلًا؟!

نادر: أنا؟!

والـدي: أيـوة الشـيخ لطفـي جـه الضـهـر، وقـال خلـوا بالكـوا نـادر زعّلني منـه. بـس ماقالـش السـبب.

نـادر: والله يـا حـاج مصطفـى مـا حصـل أي حاجـة، كل الحكايـة إنـه يزعـل لمـا بسـأل كتـير.. وعـلى العمـوم أنـا هصالحـه ماتقلقـش.

والـدي: آه الله يـرضى عنـك، الراجـل ده بينـي وبينـه عـمار ومـش عاوزيـن نخسره أبـدًا.. ده كفايـة بنـت خالتـك مـروة واللـي عملـه لهـا !

ابتسـمت لوالـدي وكلـت لقمـة بسرعـة جـدًا وهُمّـا مسـتغربين أنـا متسرع كـده ليـه.

طـرت عـلى أبويـا الروحـي (الحـاج مختـار).. رُحـت لـه البيـت، فتـح ليـا ابنـه البـاب ودخلـت أسـتناه لحـد مـا خـرج مـن الحـمّام..

اتبسـط جـدًا إنـه شـافني لأنـه كالعـادة زي مـا كلنـا حافظـين بيشـوف فيّ طفولتـه وحاليًـا شـبابه الضائـع..

ما علينا سألني: اتغديت ولا لأ، قُلت له الحمد لله..

الحاج مختار: يا حاجة الغدا يلّا عشان أتغدا أنا ونادر .

نادر: يا حاج بقولك اتغديت.

الحاج مختار: لازم تتغدا عندنا رز معمر النهارده وبَط.

في خـلال دقايـق الوليمـة كانـت اتفرشـت.. وعشـان أريـح دماغـي كلـت معـاه.. مـا شـاء الله عليـه شـهيته مفتوحـة جـدًا جـدًا.

الحاج مختار: خير بقى يا نادر شكلك عاوزني فيه حاجة مهمة.

نادر: الشيخ الوقاد..

الحاج مختار الأكل وقف في زوره وفضل يكح ووشه اتقلب.. رد فعله زادني شغف وإصرار وخوف.

الحاج مختار وصوته خارج بالعافية: ماله.. مين اللي عرّفك بيه مش ممكن يكون عم لطفي.. مين.. انطق.. هو الشيخ لطفي اتجنن.

نادر: عاوز أعرف مين ده، ومين ابنه الصغير .

الحاج مختار: ابنه الصغير؟! هو ماعندوش غير واحد وزي الشحط.

نادر: طب ممكن أعرف عنه منك والله انت عارف كتير شكلك كده.

الحاج مختار ساب الأكل واتعدل في قعدته وبدأ يحكي..

بُص يا نادر أنت شُفت الشيخ لطفي وإيمانه وقربه من ربنا طبعًا..

نادر: آه..

الحاج مختار: أهو ده عكسه تمامًا..

ده واحد أعوذ بالله مسخر جن ويقولوا أكتر من واحد، وبيعمل كل حاجة بالسحر وبيدخل بالمصحف الحمّام. وكَفَر عشان يبقى خدام إبليس.. وبكفره ده بقى فعلًا خدام إبليس وبقى بيقدر يأذي الناس بكل طريقة..

مفيش حد في العزبة الغربية بيتجوز إلا ما يروح له قبل الفرح بأسبوع عشان مايربطوش.. العزبة بقت مهجورة ومكروهة بسببه.

كل واحد عنده محل لازم كل مدة يودي له فلوس عشان مايطفّش الزباين من عنده..

لما ينزل يمشي، الناس بتحاول تختفي من وشه، لو قُلتلك إن الأذى انحط كله في بني آدم واحد يبقى هو الواد وابنه.

نادر: تعرف عنه أي حكايات؟

الحاج مختار: أيوة في حكاية مشهورة جدًا بتاعه مراته حفيظة.

حفيظة كانت لا ترى، لا تسمع، لا تتكلم، عارفة جوزها بيعمل إيه وماهاش دعوة، لحد ما بدأت تحضر معاه الجلسات بتاعه التحضير، وبدأت تشتغل زيه وبدأ ابنهم الصغير كمان يشرب الشر.

حفيظة كان كل همها ابنها على خلاف الوقاد بيحب بس يجنن الناس بأهميته.. بيقولوا إنهم قلبوا على بعض.. في يوم لقوا حفيظة مرمية الفجر قدام تربة ولبسها متقطع.. حاول الناس يفهموا منها كانت بتقول كلام مش مفهوم.. راحوا بيها لبيت الوقاد طلع هو وابنه وطردوا الناس وقال أنا طلقتها مش عاوزها عندي!

والأهم من ده التربة اللي لاقوها مرمية قدامها دي تربة عثمان الكبير وده واحد كده عيلته كانت كلها سحرة زي الوقاد.. والوقاد خلّص عليهم موّت اللي موّته بالسحر وطفّش الباقي وجنّن منهم برضو، إشمعنى حفيظة راحت هناك محدش يعرف..

وهل هو اللي رماها هناك برضو، محدش يعرف بس اللي حصل إنه هو طلقها ورماها وعايش هو لوحده وابنه بيسافر ويرجع له.

المشكلة إن الناس كانت بتكرهها من كتر عمايله فماحدش رضي ياخدها ودوها مستوصف.. بيقولوا إنها حكت حاجات غريبة وقالت لازم تموّتوا الوقاد ده ضيعني وضيع ابني.

حكت عن مصايب هحكيلك اللي فاكره منه.

الوقاد كان لازم يدفن الأعمال في الأكفان.. كان بيوصل العمل لكفن الميتين الجداد..

كان بيوهم أي حد بيروح له إنه بيته فيه آثار وينهب منه الآف الفلوس كان بيفرق أي اتنين متجوزين سهل جدًا.

يعني نصاب وساحر ومشعوذ وكافر.

يا نادر كان بيـ... قاطعته:

- يا عم مختار أنا مش عاوز خطوط عريضة أنا عاوز تفاصيل يا عم مختار من فضلك.

الحاج مختار: والله يا ابني ده اللي أعرفه

إوعى تسأل الشيخ لطفي

نادر: لأ.. شيخ لطفي مين! ده اتجنن أول ما فكرت بس أسأل.

نادر: طيب هو لسه شغال الوقاد ده؟

مختار: هو برغم إنه كبير إلا إنه شغال جدًّا..

والشيخ لطفي ياما عالج ناس ضحايا من الوقاد.. بس أنا سمعت حاجة والله وأعلم صح ولا لأ.

نادر : حاجة إيه.

مختار : بيقولوا إن الوقاد حذر لطفي من علاجه لحالات الوقاد والشيخ لطفي ماسمعش كلامه فموّت له مراته.. ده اللي سمعته لكن الحقيقه إيه الله أعلم يا نادر يا ابني.

نادر: طيب أنا عاوز أحضر جلسة.

مختار: لأ مش هينفع لأسباب كتير.. أولًا: إن السكة دي أذى.

ثانيًا: إن ده مش شيخ مش هيسمح لحد يقعد يتفرج على شغله، وبعدين يا نادر أنت دلوقتي مش نادر العيل بتاع زمان، أنت بقيت شاب كبير وكمان معروف. فضلت أتحايل عليه بدون فايدة فزهقت وقُمت.

نـادر: خـلاص أنـا هتـصرف.. سبته وتوجهـت ناحيـة العزبـة الغربية وبـدأت أسـأل عـن مـرات الوقـاد.

ردود أفعال الناس كلها دون استثناء ما بين غضب، استياء، قلق.. وخوف، كلهـم قالـوا مانعرفـش هـي فين!

فيـما عـدا واحـدة ست قالـت: مـن وقـت مـا طّلعـت مـن المستوصف وجوزها رافض يدخّلها البيت وهـي في «مندرة البلـد» (المقصـود بها دار المناسبات العزاء وكتب الكتاب، وساعات يلتقي فيها أهـل القريـة في أمسيات دينية وليالي رمضـان وأيـام العيـد).. فسـألت بتعمـل فيهـا إيـه فعرفـت إنها بتنضف المندرة يوميًا ويتخدّم على الناس اللي فيها في مقابل مبلغ مالي تقدر تعيـش منـه..

بس خلي بالـك دي ناصحه جدًّا ومتعلمه كمان وبحالات، ساعات تلاقيها عاقلة وساعات تانية مجنونة.

خدت بعضي ورُحت على المندرة لاقيت بابها مـوارب، خبطـت ودخلت لاقيت واحدة محنية على الأرض بتكنس.. وعمالة تكلم نفسها بتقول:

- «يا ويلكم منه.. يا ويلكم من نسله.. يا ويلكم من ابنه!»

قصدت أكح عشان تاخد بالها مني فبصت لي، لاقيتها سيدة مش عجوزة سنًا لكنها عجوزة صحيًا جدًّا.. طلبت منها أقعد أتكلم معاها.

حفيظة: لو عندك عزا روح لشيخ البلد ادفع له حجز المندرة.

نادر: لأ معنديش عزا..

حفيظة: يبقى عندك كتب كتاب، هو برضوا!

نـادر: لأ.. اتفضلي دول وطلّعت من جيبي ١٠٠ج، كنت شايلهم لونت عوزة، شافتهم وشها اتحول وقالت تحت أمرك.

نادر: عاوز أقعد معاكي قعدة طويلة شوية.. أنا عاوز أعرف كل حاجة عن جوزك!

وشها قلب ١٨٠ درجة..

حفيظة: الوقاد! أنت مين! وعاوز إيه!

نادر: أنا صحفي وعاوز أكتب عنه وأجيبلك حقك.

وعندي حاجة كده في الكلية مطلوب أكتب عن حاجة غريبة ولو ساعدتيني يبقى كتر خيرك هي حاجة كده زي الواجب كده.

حفيظة: بحث يعني.. أنت فاكرني جاهلة ولّا إيه.

نادر: لأ والله.. ما أقصدش.

حفيظة: ولا يهمك ياما شُفنا من أشكالك!

نادر: طيب هتساعديني؟

حفيظة: جاهز أنت؟

نادر: جاهز لإيه؟!

حفيظة: لو عرف مش هيسيبك «أسلوب حفيظة كان متزن جدًا على غير ما الناس قالوا»

نادر: ما تقلقيش..هتحكي؟ ولا أشوف حد تاني يحكي لي وأديله الفلوس؟

حفيظة: محدش يعرف أد اللي أعرفه ولا حد شاف اللي أنا شُفته.

الوقاد لما اتجوزني كنت في حالي وشايفة وعارفة اللي بيحصل ومليش دعوة.

هـو بينـزل البـدروم ويفضـل فيـه كل ليلـة مـن المغـرب لحـد قبـل الفجـر وأنـا مابتدخلـش في الـلي بيعملـه.. يامـا سـمعته بالليـل وهونايـم بيكلـم نـاس وأسـمعه بيتكلـم بأصـوات مـش صوتـه..

بس كان فيه كذا مرة خلوني أطلب الطلاق في أول ستين جواز..

أول مـرة كنـت صاحيـة بالليـل أروح أشرب.. لقيتـه واقـف في المطبـخ قـدام التلاجـة فاتحهـا وواقـف متخشـب..

الصراحـة خفـت منـه بـص لي ويـرق وقـالي: إيـه الـلي مصحيكـي دلوقتـي يـا وليـة؟

قُلت له: جري إيه يا وقاد قايمة أشرب

الوقاد: انتي خدتي الإذن؟

حفيظة: إذن إيه؟

الوقأد: الإذن مني؟ يلّا غوري..

سِبته يا ابني ورجعت الأوضة جري

في مـرة تانيـة صحيـت عـلى زعيـق عـالي أوي فضلـت قاعـدة عـلى السريـر خايفـة أقـوم، وبعديـن لمـا الصـوت زاد قُمـت مـن فَرشـتي..

نادر: كان صوت إيه؟

حفيظـة: صوتـه هـو، وصـوت نـاس بتـصرخ وصـوت قطـط و كلاب وحـش أوي.

نزلـت مـن عـلى السريـر فتحـت بـاب الأوضـة ومشـيت ورا الصـوت لحـد

ما وصلت للحمّام كان الباب متوارب لكن الحمّام نوره مطفي لكن خارج منه نور زي ما يكون فيه حاجة مولعة جوّه.. نورها عمال يزيد ويقل لوحده.

أنت عارف وقفت شوية خايفة أقرب لحد ما سمعت صوته بيعيط وبيتألم.

وصلت لباب الحمّام ووقفت.. شُفت منظر غريب

الوقاد واقف قدام مراية الحوض وحاطط شمعة مولعة تحت وشه، وعمال يقول «احضروا.. احضروا»..

الشمعة كانت بتحرق في وشه، وعمال جلد وشه يفور من نارها ونقط دم عماله تنزل كتيرة على رقبته وهدومه .

أنا رقعت بالصوت قام متلفت ليّ.. ماكانش وشه اللي أعرفه، ومش حكايه إنه، محروق ده واحد تاني غير جوزي وقام حادفني بالشمعة.

الشمعة لما حدفني بيها ولعت أكتر في الهوا، وأول ما جت عليَّ وقعت من طولي من الخضة.

لما فُقت لاقتني نايمة على باب الحمّام..قومت بسرعة لاقيته قاعد على السرير مستنيني وقالي لو اتكررت تاني مش هعرف أمنعهم عنكِ.

تكررت حوادث كتيرة مكنتش خلاص بتدخّل فيها لكني طلبت أتطلق وكان رده موافق بس بعد طلاقنا بأسبوع ابدئي عِدي اللي هيموتوا عندك وأولهم أبوكي..

سكتّ وعشت.. لحد ما حملت.. أول ما عرف فرِح جدًا وقالي أول ما توصلي للشهر الخامس عرفيني.

خُفت من طلبه الغريب ده وبقيت على أدّ ما نفسي أشوف ابني على أدّ ما أنا خايفة من الشهر الخامس!

يا ترى ناوي على إيه يا وقاد؟!

طول الشهور الأولى من الحمل كانت الحياة معقولة.. لكن الوقاد زود من جلسات علاج الناس وقالّي أنا بعمل فلوس لابني.

بدأت الشهر الخامس وتعمدت أخبي وما أقولش.. وكنت في ليلة نايمة قلقت على صوت بينادي عليّ باسم أمي! فبصيت حواليّ لقتني نايمة على مرتبه في البدروم اللي ممنوع أنزله!

وحوالين المرتبه شموع كتيرة مولعة وحوالين كل شمعة على الأرض مرسوم دايرة بيضا.. وجنبهم مجموعة كوبيات، والوقاد كان قاعد على مكتبه مبسوط وهو بيبص لي وقالي:

«دلوقتي ابني هيتجهز»

حفيظة: حرام عليك سيب ابني هتعمل فيه إيه؟

الوقاد: هجهزه للورث..

حفيظة: أبوس إيدك يا وقاد.. بلاش ابنك.

طلّع كتاب شمس المعارف اللي بيستعمله على طول، فتحه وقال منه كلام يخوّف أول ما قاله جسمي كله اتشل ومابقتش قادرة أتحرك ولا حتى أتقلب على جنبي..

حفيظة: أنا مش قادرة أتحرك يا وقاد.

الوقاد: لما أخلص هتتحركي عادي.. وقام وقعد جنبي على المرتبة..

وقام ماسك الكتاب بإيده الشمال، وماسك بطني بإيده اليمين وقعد بكلم ابني كأنه سمعه.. ويضغط.

حسيت بمغص ووجع شديد جدًا في بطني.. وحسيت بألم شديد وانقباضات كأني هولد.

حفيظة: يا وقاد هولد.. هولد ارحمني.

وقاد: اسكتي خالص..

وفضل يضغط بإيده على بطني وابني بيتحرك جدًا بسرعة.. بدأت أحس بنزيف..

رمى الكتاب على الأرض وفضل ماسك بطني، وبإيده التانية مسك كوباية من اللي حواليَّ، وقال بصوت عالي:

«الأم.. الأم.. الأم»

وقام صب الميَّه على وشي.. ميَّه سودا ريحتها وحشة جدًا يا دوب بحرك وشي بصعوبة عشان أعرف أتنفس.. جسمي اتكتف.

وبعدها خد كوباية تانية وزعق: «الابن.. الابن.. الابن.»

وقام صابب اللي فيها على بطني.. والله يا ابني شُفت بطني بتدخن، وحسيت إن جلدي بيتسلخ وشُفت الهدوم بتتقطع من على بطني لحد ما شُفت إيد صغيرة بتطلع من بطني! سودا مرعبة ضوافرها مفزعة..

الإيد بدأت تخرج أكتر.. سودا تمامًا ليها ضوافر أو حوافر زي الحيوانات.. بدأت راس تخرج من بطني وخرج الجنين.. خرج ابني.. كتلة محترقة من الفحم.. وبدأ يتحرك على بطني.. قطع حبله السري وبَص لي.. كانت عينيه بيضا تمامًا مفيهاش أي ني! وبدأ ياكل الحبل السُّري..

وفتـح بوقـه وإذا بـه لديـة أسـنان وأنيـاب.. أيـوة أسـنان وأنياب عند الجنين.. أيوة جنين مفتح عينيه.. أيوة جنين لـه ضوافـر.. وبدأيزحف على بطنـي.. متجهًـا لوجهـي..

لاقيت الوقاد بيقوله:

«استني يا وريث ماترضعش دلوقتي لما تشرب السحر كله»

«استني يا ابن أبوك!»

فضـل يزحـف وبـدأ يقـرب مـن وشي، كان أبشـع وش شُـفته في حياتي وطلـع لحـد مـا وصـل لـوشي!

ويقـى وشـه في وشي وفتـح بوقّـه وصرخ.. صوتـه حـاد مـؤلم عامل زي الصـوت الـلي بسـمعه في ورش لحـام الحديـد..

تُهت وحسيت بحد ماسك بوقّي وفُقت غالبًا كنت بهلوس أو حاجة مـش عارفاهـا لاقيـت الوقـاد فاتـح بوقـي بالعافيـة وجايـب كوبايـة وبدأ يشربنـي الـلي فيهـا بالعافيـة..

ويقول: الأم والابن

الأم والابن

من الأم للابن

ومن الابن للأم

وشرّبني بالعافية.. كأني شربـت ميه نـار قطعـت في مصاريني وفضل يقول نفـس الكلام.. حسـيت بجسـمي كلـه بيولـع للدرجـة إن نافوخـي هينفجر.

بعدها اغمى عليّ.. و صحيت لاقتني في السرير! وهو قاعد.. وقالي:

«أنا بجهز ابني.. وأفضلك تجهزيه معايا.»

حالي اتبدل وبقيت واحدة تانية، وبمزاجي بقيت بساعده في كل اللي يعمله ما أعرفش إزاي!

بحضرله الأعمال وأقعد مع الستات وآخد الفلوس

وأرتب القعدات.. وبدأت أكون زيه ويمكن أسوأ لحد ما جه الشهر التاسع.

واللي كان كله كوابيس عن موتي وموت ابني!

لحد ما ألم الولادة جه!

وكنت متفقة معاه يوديني مستشفى المركز، بعتني على أمي ومارضيش يروح..

ودخلت الطوارئ، ومنها لغرفة العمليات اللي قالوا إنها ولادة عاجلة وهيحاولوا يولدوني طبيعي عشان أمي اترجتهم بلاش «ولادة شق البطن» زي ما قالت لهم.. و أنا كنت خايفة أشوف اللي شُفته قبل كده!

الدكتور اداني حقنة وقالي أهدي وادعي ربنا..

بدأت أدوخ لكن شُفت ممرضة واقفة بتبص عليَّ من بعيد باستغراب وبدأت تقرب مني.. وبصت على بطني

الممرضة: يا دكتور الطفل حركته زايدة وباينه أوي.. حضرتك شايف؟

الدكتور: اكشفي بطنها طيب.

الممرضة: أهوه! إيه ده! دي متعورة يا دكتور!

الدكتور: إيه ده! ده مكان ضوافر! فين جوزها؟

المرضة: دي بتتعور من جوا.. يا ساتر يارب.

الدكتور: هنضطر نولدها قيصري مشرط بسرعة.

أنا عاوزة أصرخ وأقولها أنا صاحية.. لسه مانمتش.. استنوا..

الدكتور: زودي البنج بس بسرعة يلّا.

الدكتـور مسـك المـشرط ويـدأ يفتـح وشُـفت تـاني نفـس الأيـد الصغيرة بصوابعهـا بحوافرهـا بتخـرج بـرَّه بطنـي.

نفس لونها المفزع

وبدأت بطني تنزف مكان الجرح.. لكن كان دم أسود بشع !

والمرضه بتقول للدكتور:

- إيه ده يا دكتور إيه ده؟ ده مش شبهها خالص .

والدكتور منهمك في ولادتي وما بيردش.

الدكتور: حطي على وشها فوطة مش لازم تتفرج يعني!

حطوا على وشي قماشة فبقيت مش شايفة لكني سامعه..

المرضة: هو جوزها غالبًا أسود؛ لأن الطفل أسود أوي.

الدكتور: عادي كلها ألوان من طين خلقه ربنا.

المرضة: دكتور هو ضوافره عاملة زي القطط كده ليه؟

الدكتور: سبحان الله، يبقى دي سبب الخربشات اللي عندها، دي ظاهرة غريبة جـدًا..

المرضة: يا ماما إيه ده.. حاسب يا دكتور حاسب.

الدكتور: إيه ده.. أعوذ بالله.. أعوذ بالله.

بعد كده أصوات صراخ ممرضة ثم الثانية ثم صوت الدكتور زي الحيوان المدبوح اللي بيطلع في الروح.

ومن بعده الممرضة: ابعد عني.. ابعد عني.. ابعد عني..

وصرخات كتير.. أعقبها صمت رهيب..

عاوزة أمدّ أيدي أشيل الفوطة إيديَّ متخدرة

عاوزة أصرخ صوتي مش راضي يطلع..

بدأت في اللحظة دي أستغفر ربنا وأطلب منه يسامحني، حسيت إن كان جوايا قطعة من إبليس وتخلصت منها..

ولكن يا ترى القطعة دي راحت فين بعد ما دبحت كل الموجودين في أوضة العمليات!

هتموّت مين تاني!

حسبي الله ونعم الوكيل فيك يا وقاد!!

بدأت أحس بجسم صغير بيتحرك على بطني متجه ناحية وجهي لكنه توقف عند صدري وبدا يرضع زي أي طفل أوحتى كائن حي..

كنت بتألم حاسه بسنان حاده بتقطع فيَّ!

ده غير إن أنا برضع إيه.. برضّع ابن إبليس!

يارب.. يارب.. ارحمني من اللعنة دي.. يااارب

وسمعت صوت العقاد بيتكلم: من الام للابن.. من الأم للابن.

وشُفت من ورا الفوطة خيال كبير بيقرب مني ومن وشي تحليلًا وكشف وشي.. غمضت عينيَّ فإذا بصوت الدكتور:

- خلاص يا ستي حمد الله على السلامة.

فتحت عينيَّ لاقيت الدكتور بيبص لي ومبتسم..

حفيظة: أنا ولدت؟!

الدكتور: الحمد لله ولدتي وابنك بيرضع كمان منك أهوه.. مش حاسة ولّا إيه؟!

حفيظة: وأنت عايش؟

الدكتور: نعم! وضحك..

حفيظة: طب والممرضات ما اتدبحوش.

الدكتور: واضح إن البنج عامل شغل عالي معاكي مع إني سامع إنك وجوزك مخاويين ومايفرقش معاكو الكلام ده.

حفيظة: ممكن تقرّب ابني من وشي أشوفه.

رفع الدكتور ابني ولاقيته ولد عادي والحمد لله مافيهوش أي حاجة، وقالي هناخده ونرجعهولك على طول، أبوه عاوز يشوفه

صرخت: لأ.. لأ..أبوه.. لأ.

الدكتور: اهدي بس اهدي.

وخد ابني وأنا منهارة وطلع بيه برّه عشان يوديه للوقاد .

صحيت لقيتني في السرير وابني في السرير بتاع الأطفال والوقاد موطي عليه..

وقام وقف ويبص لي وقال لي:

- من النهارده دورك تراعي ابنك لحد ما يستلم الميراث.. لو أديتي الدور هتفضلي عايشة معانا، لو فشلتي مكانك الشارع وسط الأغبيا، هرميكي مع عتمان.. مطلوب منك تساعديني وتساعدي ابني وتكوني خادمة مطيعة.

كنت بسمع الكلام وأنا مش عارفة أرد أقول إيه..

تاني يوم خرجنا وروحنا البيت، كان الوقاد كل دقيقة بيجي يبص على ابنه، وراح سجِّل اسمه من غير حتى ما يسألني عاوزة اسمّي ابني إيه.

ماكانش مسموح ليَّ أنفرد بابني ساعة على بعضها، كل شوية بيجي الوقاد ويرفع ابني قدام عينيَّ ويقولوا قربت قربت..

ويرجع ليَّ ويقولي ماتنسيش أبدًا اتفاقنا..

ومن بكرة تقومي تقابلي الأغبيا وأنا عاوز فلوس أكتر، قوليلهم إنهم لو مادفعوش أكتر هلعنهم..

تاني يوم كنت في استقبال الضحايا بعد توقف دام ٣ أسابيع كان الوقاد موقف شغله فيهم فجالنا اليوم ده يجي ٢٠٠ راجل وست وطفل كلهم وافقوا على دفع الفلوس.. الوقاد عمره ما كان بيتعب من كتر الزباين بل بالعكس كنت بين كل حالة والتانية أدخلّه ألاقيه أكتر قوة ويبدأ الكل يصدق إني مخاوية أنا كمان.. وبصراحة بدأت آخد من الناس فلوس وأحوّش لأني قررت قرار هو الحل الوحيد للي أنا فيه.

قرار بالهروب

هجمع مبلغ كبير وهاخد ابني وأهرب لبلد مايعرفش بوصلنا أبدًا فيها..

وبدأت أشتغل بحماس أكتر.. وأحوش أكتر..

وفي ليلة كنت برضّع ابني فدخل عليَّ الوقاد بالليل وقالي: أنا مستغرب من حماسك وشغلك الكتير.

حفيظة: ما أنا بنفذ اللي انت طلبته مني.

الوقاد: لا الحكاية مش كده.. أنا ممكن أسلط عليكي واحد من تحت الأرض يخليكي تنطقي تقولي انتي بتفكري في ايه.. بس الوقاد هيعرف لوحده..وأوعدك أول ما أعرف لو طلعتي خاينة هدفنك حية يا حفيظة.. عند عتمان اللي خدته من جنّيّة كانت متجوزاه ماقدرتش تنقذه مني!

اترعبت وأنا مش عارفة هو عرف حاجة ولّا إيه..

كل طلبات ابني كان بيجيبها قبل ما أطلبها.. أول ما حاجة تخلص ألاقيها تاني يوم على الترابيزة من غير ما أطلبها ولما سألته مرة.. ضحك وقالي الوقاد مايتسئلش يا حفيظة!

الوقاد مايتخانش يا حفيظة !

الجملة دي كهربتني، وحسيت إني اتفضحت لكنه هو لو عارف هيسكت عليَّ ليه.. هو مجرد كداب بيكدب على الناس ولما يصدقوه همّا اللي بيخلوه يتحكم فيهم!

أنا هكمل وهاخد ابني وههرب.. إن شا الله أسافر برّه مصر كلها. المهم أهرب من الجحيم ده !

واستمرت الحياة كده وبدأ ابني يكبر ولما جه سن دخولة المدرسة رفض دخوله المدرسة بقيت أبوس إيديه ورجليه..

صرخ وقالي لو ماسكتيش يا حفيظة هلعنك وهبعتك عند عتمان.

صرخت أنا فيه: ارحمني وارحم ابنك سيبه يروح المدرسة زي أي عيل مش كفاية إنك عازله عن باقي العيال في الشارع و الواد بقى عامل زي الأخرس.

الوقاد: من بكرة هيروح مدرسة أبوه يا غبية.

حفيظة: لأ كفاية مش لازم ابني كمان تضيعه كفاية أمه.. أنا عايشة زي الجارية قضيت عليَّ ومش هسمحلك تقضي على ابني!

نزل قلم على وشي وقّعني على الأرض..وبرجله ضربني في ضهري.

الوقاد: معادك الليلة يا حفيظة..الليلة كل حاجة هتتعدل.. زودتيها أوي يا حفيظة .

قُمت بالعافية ودخلت الأوضة..ابني طبطب عليَّ وهو كعادته ساكت مايعرفش يتواصل زي باقي العيال اللي أدّه.

خدت ابني في حضني ونمت..

صحيت على صرخة ابني.. قومت بسرعة لاقيت الوقاد واقف في الأوضة وحواليه اتنين سود طوال ورفيعين جدًا مش عارفة أشوف مين دول.. وابني مخبي وشه في رجلين أبوه! وعمال يعيط. جيت أقوم من على السرير نزلت رجليَّ عشان أقوم أنقذ ابني حسيت بإيدين شدتني من تحت السرير لورا فاتقلبت على وشي ولقتني بتشد لتحت السرير بقيت أمسك في أي حاجة لحد ما وقفت الإيدين عن سحبي تحت السرير لكنها كانت مكتفاني عشان ما أخرجش..

وإذا بالوقـاد يطبطـب عـلى ابنـي ويسـلمه لواحـد مـن الاتنـين، شُـفتهم بوضـوح وشـهم طويـل مسـحوب ونحيـف عينهـم جاحظـة برَّه شعرهم طويل لابسـين عبايـات سـودا سـنانهم متفرقـة عـن بعضهـا ولكنهـا شـبه الأنياب..

أول واحـد مسـك ابنـي مسـكة مـن دماغـه وضغـط، ابنـي فضـل يصرخ ويتنطـط عـلى الأرض فـإذا بالتـاني هـو كـمان لمـس دمـاغ ابنـي فسكت ابني ووقـف متخشـب زي النايـم..

نيموه على الأرض ووقفوا حواليه..

وبدأ الوقاد يتكلم:

«لقد حان وقت المرحلة الثانية من توريث الابن

يا معشر قبيلة حلفاء الوقاد.. آمركم مثلما أمرتموني من قبل

أطلب منكم مثلما طلبتم مني من قبل..

حققت لكم غاياتكم كثيرًا.. والآن عليكم تحقيق غايتي..

الابن يرث الأب

الابن يرث الأب

الابن يرث الأب

أزيلوا كل ما في قلبه من خير

أزيلو كل ما في قلبه من حب للبشر

امسحوا كل ما في تفكيره من صفات البشر

آمركم بالعهد بيني وبينكم أن تسلموني وريثي المرصود وليس البشري»

الوقاد: وانتي يا حفيظة يا جاهلة هتفضلي فاكرة كل الكلام ده بالنص بالأمر عشان تحكيه للبؤساء اللي زيك بعد ما دورك يخلص..عمرك ما هتنسي حرف منه..بالأمر ! عمرك ما هتنسيه!..

أنا كنت بشوف كل ده ومشلولة ولساني ودموعي هي اللي حيلتي..

قَلَبْ الاتنين ابني على الأرض على جنبه الشمال وهو مستسلم ليهم، وأول واحد فيهم طلع من عبايته رباط أسود زي الشاش لكنه أسود، وبدأوا يلفوا رجلين ابني وكتّفوه من عنده صوابعه لحد الركبة وكملوا لحد وسطه وابني مستسلم ليهم تمامًا برضو..

كملوا لف ابني بالشاش الأسود ووصلوا لبطنه وضموا دارعاته لجسمه، وكملوا لف ولفوا رقبته ووصلوا الوشه ولفوا دماغه بالشاش الأسود وطلع التاني حاجة زي مشرط وفتح مكان بوقّ ابني فسمعت ابني بيتنفس بصعوبة، وجاب الوقاد إبريق فضي اللون وحطه قدامه وملاه سائل أصفر من إزازة معاه وطلع زعفران أنا عارفاه عشان بيستعمله في التحضير دايمًا وخلطة في الإبريق الفضة..

وحط الإبريق على بطن ابني، ووقف جنبه وقعد يزعق و يقول دلوقتي دلوقتي..

فقام الاتنين العفاريت وقفوا حوالين جسم ابني واحد على يمينه والتاني على شماله ومسكوا دراعات بعض وبدأوا يقولوا حاجات مش مفهومة ويرقوا البعض جامد وفضلوا يقولوا الحاجات الغريبة..

وكل واحد جرح وش التاني بالمشرط الي استعملوه قبل كده، وبدأ ينزل من وشهم دم لكنه أسود داكن جري الوقاد فتح الإبريق بسرعة، وبدأ الدم ينزل فيه بغزارة، والإبريق لسه ثابت على بطن ابني والدم بينزل بغزارة في الإبريق..

وبعدها بعدوا الاتنين عن بعض، وكل واحد فيهم قعد على الأرض زي اللي داخوا وقعدوا.. من التعب..

الوقاد شال الإبريق من على بطن ابني وهزه وحطه على الأرض، وبدأ يشاور للاتنين، واحد منهم قعد عند رجلين ابني من تحت ومسكهم كأنه بيثبتهم.. والتاني قعد عند راسه ومسكها ويرضو كأنه بيثبتها في الأرض..

وقام الوقاد وبدأ من عند رجلين ابني يصب من الإبريق الفضة على جسم ابني، وبدأ ابني يترعش رعشات خفيفة لكن العفريت كان مثبت رجليه تمامًا واتنقل من الصب على رجليه لبطنه وزادت رعشة ابني..

وجه عند القلب وقرّب الإبريق من قلبه وصب كتير وبدأ يزعق:

يموت القلب.. يموت القلب.. يموت القلب يا وريثي.

ووصل عند دماغ ابني وصب بغزارة ودخلت الميّه جوّه بوق ابني أكيد.

ولكن بدأ ابني يتنفض وكأن الكهربا مسكت في جسمه..

بدأ الاتنين العفاريت يكتفوه أكتر..

وابني يتنفض ويصرخ بصوته الطفولي، ولكن الصوت اتغير وتحن ويقى صوت يخوّف.. صوت ألم وحشرجة واختناق ممزوج بصوت مفزع من شرقة ابني للدخول الميّه لبوقّه وزوره..

كل ده بيحصل والإيدين مسكاني من رجليّ وأنا نايمة تحت السرير على بطني ودموعي هي كل اللي حيلتي!

فضل يصب لحد ما الإبريق خُلص.. وابني خِلِص هو كمان وحركته وقفت تمامًا..

وبدأ الاتنين يشيلوا ابني ويحطوه على السرير من فوقي وبدأت نقط

ميه تنقط من فوق السرير ما أعرفش هي فيه إيه هل ده دم ابني ولا

السائل اللي غرّقوا بيه جسمه..

كانت بتنزل مش كتيرة لكني شايفاها..

وسامعة صوت ابني بيزوم بنفس الأصوات الغريبة..

وبعدها بدأت قطع من الشاش الأسود اللي كانوا مكفنين به ابني تقع

قدامي على الأرض واحدة ورا التانية لحد ما اتعمل قدامي كوم كبير منها..

بعدها الوقاد وطى وبَص لي تحت السرير وابتسم وقال لي:

خلاص دلوقتي ماتقدريش تفكري تعملي أي حاجة ولا تهربي ولا حتى

تطلّعي وريشي برّة البيت، هو انتي فاكرة إني مش عارف إنك كنتي بتسرقي

الفلوس من ورايا و ناوية على إيه!

انتي فاكراني ماعرفتش خيانتك !

انتي متوقعة إني مابتبلغتش من خدمي يا حفيظة، وكان قدامي أحرقك

من أول ما فكرتي لكن كل شيء له أوان عقابك هتاخديه بس من وريثي

في الوقت اللي هو يحدده كنتي هتهربي فين يا مسكينة.. أنا موجود في كل

حتة يا غبية..

أنا عارف وسايبك بمزاجي!

فكري تاني تعملي ده..و اللي هيولع فيكي وقتها مش أنا ولا خدامي

من الجن.. ابنك يا حفيظة.. ابنك.. وهيكون فورًا

هو اللي هيكمل اللي أبوه بدأه..

ابني هو اللي ورث العهد من صغره

ابني هو اللي هيوقف الدنيا عند رجليه

الكل هيعمله حساب.. أي نعم بيعملوا لي حساب.. لكن حسابه هو هيكون مختلف.. هيمشي في الشارع الكل هيجري يستخبى في

البيوت.. هيتجوز من بنات الجن.. هيكونوا خدام له.

هيعدي على المقابر الجن نفسه هيدخل جوّه كل تربه وهيستخبوا جوّه الأكفان، اسمه هيفتكره الكل كبير وصغير! إنس وجن.

فضل يتكلم عن اللي ابنه هيعمله، ووقتها بص ورايا وقال فك أسرها! لقيت الإيدين اللي مكتفه رجليا سابتهم.

وهو قام ومشي ناحية الباب وفتحه وخرج.. وخرج وراه العفريتين بتوعه..

وقتها اتحركت من تحت السرير بصعوبة، وحاولت أقوم أشوف ابني، رجليَّ كانت متكتفة مع إن مفيش حاجة مسكاها.. جيت على نفسي وقُمت عشان ابني اللي لاقيته نايم عريان على السرير وجسمه كله خطوط سودا وحمرا بالطول وبالعرض وهباب مكان الشاش الأسود على معظم جسمه ونايم، شديت البطانية لفّيته بيها وقعدت على السرير وخدته في حضني وفضلت أحاول أفوّق فيه وأعيط على اللي جرالي وجراله.

قعدت يمكن ساعة أفوّق في ابني يا أستاذ..

وفاق وياريته ما فاق..

نادر: مش فاهم..

حفيظة: فتح عينيه وكان مستغرب فلاقيته قام وقعد وقالي: «جري إيه انتي بتعيطي ليه؟! ويعدين فين أبويا..

أنا عاوز أتعلم وأكمل علامي منه.. أبويا فين؟!»

حفيظة: يا ابني أنا أمك، أبوك ده حرام عليه، ربنا مش هيرحمه ولا هيسامحه.

ابن الوقاد بغضب شديد: إوعي تتكلمي على أبويا كده تاني، انتي ناقصة.

حفيظة: حاضر يا ابني.. حاضر.

وقام ابني ولبس هدومه ونزل عند أبوه تحت وسمعت أبوه بيهلل إنه نجح وابنه بقى زيه. .بس اللي ماتعرفوش كمان إنه بقى أسوأ منه.

نادر: إزاي؟

حفيظة: ابني بقى ملازم الوقاد في كل جلسة واتعلم بسرعة غريبة وبدأ يكبر بطريقه غريبة..

نادر: يعني إيه؟

حفيظة: يعني ابني كبر قبل أوانه.. ابني بقى شاب في ستين تلاته بالكتير والوقاد كبر برضو بطريقة غريبة زي ما يكون الوقاد خد من عمره واداله!!

نادر: بس الكلام ده ماينفعش.

حفيظة: يعني أنت سبت كل اللي حصل وشايف دي إنها ماتنفعش.. الوقاد بحوره واسعة وكبيرة ويسخّر بدل الجن ألف.. بيعملوا له كل اللي هو بيفكر بس فيه.. وابني بقى زيه.

نادر: بس أنا عاوز أعرف اتطردتي إمتى تحديدًا من البيت؟ وليه؟

حفيظة: كان ده في ليلة سودا ويوم ماطلعلوش شمس.

نادر: حصل إيه؟

حفيظة: أنا تعبت يا أستاذ، ولازم أكمل تنضيف المندرة عشان أجيب فلوس آكل بيها ويعدين ال ١٠٠ج اللي أنت دفعتهم هيجيبوا إيه ولا إيه.

نادر: انتي عاوزة فلوس تاني ولا إيه؟

حفيظة: بكرة يا أستاذ هكملك اللي حصل وتجيب معاك قدهم مرتين!

نادر: نعم عاوزة ٢٠٠ ج! أجيبهم منين يا ست انتي!

حفيظة: ماليش فيه أنا.. يلّا أمشي..

نادر: خلاص كفاية اللي سمعته مش عاوز تاني!

حفيظة: بشوقك.. بس ماتبقاش تمشي في الشارع تسأل ابني بيغطس يروح فين ويرجع تاني لأن محدش يعرف غيري وماتسألش برضو عن مرات ابني!

نادر: إيه ده هو اتجوز!

حفيظة: ما أعرفش.

نادر: يا ستي انطقي ماتسيبنيش كده.

حفيظة: مستنياك بكرة يلّا مع السلامة.

وفجأة حسيت إن حفيظة تحولت بقدرة قادر لشهرزاد اللي بتحكي لشهريار حدوتة كل يوم وبتيجي عند أهم جزء وتسيبه معلق عشان السيّاف مسرور مايطيّرش رقابتها.. لحد ما كملت معاه ألف ليلة وليلة وأصبح مايستغناش عنها..

يا ترى حفيظة هتفضل تعمل فيَّ كده أد إيه؟! وبعدين أنا هجيلها الفلوس منين؟!

ولو جبتلها ال٢٠٠ج بكرة أكيد هيكون فيه ٢٠٠ج غيرهم لبعد بكرة.. و٢٠٠ لبعده وبعده وبعده.

مشيت وأنا معايا كمية معلومات غريبة وحكايات وأحداث مرعبة غير كل اللي عِشتها قبل كده مع الشيخ لطفي الله يمسيه بالخير.

مشيت وأنا في دماغي أكتر من نقطة

أولهم: هجيب فلوس منين؟

ثانيهم: يا ترى بكرة هو آخرك يا حفيظة؟

ثالثهم: إزاي ابنها اتجوز!

رابعهم: بيروح فين ويرجع!

ماهاش مفر لازم آجي بكرة وأتصرف في الفلوس لأن الموضوع كده متعلق عند كذا نقطة مهمين جدًا..

روَّحت البيت ودخلت أكلت بنهم ولكن تركيزي ماكانش في الأكل لدرجة إني ماسمعتش أبويا وهو بيقولي كنت فين كذا مرة وفُقت وهو داخل أوضته ويقول إنشاله ما رديت!

خلصت أكل ودخلت الأوضة ومددت على السرير ونمت.. نمت بعمق شديد جدًا وكأني مانمتش من سنين.

نمت عشان دماغي تقف شوية والصبح يحلها ألف حلَّال.

***

# الفصل الخامس

## «الكابوس»

ألم شديد بيتسلل لراسي، وبحاول أفتح عينيّ بصعوبة ومش عارف، محاولة والتانية بدأت أفتح عينيَّ.. أنا فين؟

أنا قاعد على كرسي متكتف مش عارف أقوم.. المكان مضلم جدًا، الصداع بيحاصرني بشكل سخيف..

لمبة نورت في السقف.. لمبة قديمة نورها بيحارب عشان يخرج من وسط التراب اللي مغطيها..

نور اللمبة كان كفيل إني أشوف إيديَّ متكتفة في إيدين الكرسي.. لكنها متكتفة بقماش أسود زي الشاش وملفوف بإحكام على دراعاتي!

حاولت أحرك إيديَّ لكن مفيش فايدة!

في عز انهماكي بفك إيديا سمعت صوت فجأة بيقول: أنت عاوز إيه؟

نادر: مين اللي بيتكلم؟

مصدر الصوت: أنا أيامك السودا اللي جاية.

نادر: أنا فين؟

الصوت المجهول: عندي.

نادر: أنت مين أنا مش شايفك.. وعاوز مني إيه..

بدأ الشخص يظهر من الضلمة ويقترب مني.. كان كتلة ضخمة لكن الضلمة مش موضحة حاجة وكان بيقترب ببطء شديد.. دقات قلبي كانت أسرع من خطواته وأصواتها بتعلو..

الصوت المجهول: إيه خايف؟

نادر: أنت مين وعاوز منّي إيه؟!

بدأ يقرب أكتر وبدأت ملامحه تظهر.. وجه لراجل، عينيه كلها غضب ابتسامة ساخرة على شفايفه..

لكنه في الآخر كان بني آدم يعني...

صاحب الصوت: أنت جاي عندي ليه؟

نادر: جيت عندك إزاي.. أنا كنت نايم وصحيت لقتني هنا..

صاحب الصوت: بتدور عليَّ ويتلفّ ورا ليه؟

نادر: أنت مين أنا ما أعرفكش أصلًا.

صاحب الصوت: الوقاد..الوقاد.. يا ضحية الفضول.

نادر: الوقاد؟!

صاحب الصوت: أيوة الوقاد.. وآديك قابلتني..

نادر: أنا مكنتش عاوز أقابلك.. أنا بس كنت عاوز أعرف.

الوقاد: يا ويلك مني أنت وحفيظة.. أنا بحذرك وبنذرك.. أنا عمري ما بنذر حد.. بطّل اللي بتعمله لو عاوز تعيش يا فضولي.

نادر: ولو مابطلتش؟!

الوقاد: خلاص نشوف سوا.

الأوضة كلها نورها على وزاد جدًّا ولقيت ساند على الحيطة داير ما يدور الأوضة أشخاص قصيرين شعرهم طويل حجمهم زي الأطفال لكنهم مش أطفال.. دول أشباه بني آدمين!

بدأوا يتحركوا ناحيتي من كل ناحية والوقاد واقف مربع إيديه بيبص بسخرية وترقُّب للي بيحصل.. بدأت أحاول أفك إيديَّ من على الكرسي.. دون جدوى.

ملامحهم اتضحت أكتر، الشعر كتير على أجسامهم سنانهم كلها زي الأنياب، بعضهم كان بيمشي لكن أغلبهم نزل على الأرض وبدأ يجي على إيديه ورجليه زي الأطفال اللي بيبدأوا تعلُّم الحركة..

كانوا بيصدروا صوت خافت أشبه ما يكون بالهمهمات، ولكنه موحد وكأنه ترنيمة كلهم حافظينها.. ولكن مع اقترابهم أكتر الصوت بدأ يعلا تدريجيًّا لكنه عمّال يعلا وهمّا بيقربوا أكتر لحد ما وصلوا ليَّ عند رجليَّ وأنا متكتف في الكرسي بدأت أزعق بدأ مجموعة منهم يطلعوا على جسمي بدأ الكرسي يترنح بيَّ..

بدأت أصرخ: ابعدوا عني.. ابعدوا عني.. ابعدوا..

أصبح صوتهم لا يطاق صوتهم تحول لحاجة أشبه بالصفير الحاد اللي بيخترق وداني ومخي، حسيت بدم بيخرج من وداني.. زاد ترنح الكرسي

وقعت بيه وياللي طالعين فوقي.. وقعت لورا وراسي ارتطمت بالأرض بمنتهى العنف.. بدأت الصورة قدامي تكون مشوشة لكني شايف أشباحهم وهي بتطلع فوقي وأنا واقع، وبدأت أحس بألم خفيف زي شك الدبابيس في كل أنحاء جسمي لكني بغيب عن الوعي وسمعت صوت جاي من بعيد جدًّا بيقول: دي قرصة ودن يا فضولي.. لكن المرة الجاية يا ويلك من الوقاد يا ويلك..شُفتهم وهُمّا بيرجعوا لورا وشُفت حيطان الأوضة ألوانها بتتبدل وألونها بتتحول لألوان تانية، وبعد ما كانت سودا بدأت قطع آثاث تظهر فيها والشبابيك تظهر..

الأوضة تبدلت لأوضة تانية أعرفها كويس لأنها ببساطة أوضتي!

في اللحظة دي فقدت الوعي تمامًا لمدة معرفش أد إيه..

لكني صحيت على صوت والدي.

الوالد: نادر يا ابني قوم إحنا بقينا بعد العصر كل ده نوم؟!

نادر: فعلًا.. صباح الخير يا حاج.

الوالد ساخرًا: صباح إيه بقى.. ده أنا بيتهيألي لو سبتك هتكمل نوم لبكرة.

نادر: معلش أصلي كنت تعبان جدًّا.

الوالد: يا ابني عاوزك تركز في آخر سنة في دراستك عشان أنت مش عاجبني.. والبحث المطلوب منك ماعملتش منه حاجة.

نادر: ماتقلقش يا حاج ده أنا هعمل حتة تحقيق صحفي هيبقى مشروع تخرجي وبحث ميداني كمان .

الوالد: يارب يبقى على أدّ مشروع تخرجك وبعدها خلاص!

نادر صمت لمدة لحظات: يعني إيه.

الوالد: أنت فاهمني كويس.

نادر: لأ يا حاج هو تحقيق صحفي وبعدها خلاص.

أنا معرفش والدي يقصد إيه ولا وصل له إيه؟ لكن كلامه خلاني أقول لنفسي أنت كدبت عليه طب هتكدب على نفسك،

أنت اصلًا ماكانش في بالك إن ده يكون متعلق بدراستك أصلًا.. هو في الحقيقة فكرة حلوة جدًا..

أيوة أنت مش ده غرضك يا نادر..

طيب أنا عاوز إيه؟! وناوي على إيه؟!

رجعت للحوار تاني بصوت والدي وهو بيقول: إيه ده يا نادر ؟!

نادر: إيه!

الوالد: ودنك نازل منها دم وناشف شكلك اتخبط فيها.. ونزفت إمبارح.

حطيت إيدي على ودني بسرعة وطلع في إيدي فعلًا الدم ناشف .

وقُلت بدون وعي: ماكانش حلم.

الوالد: هو إيه؟

نادر: أصل وداني كانت وجعاني جدًا قبل ما أنام.

الوالـد: خـلاص نـروح لدكتـور كامـل بتـاع الأنـف والأذن والحنجـرة ده هابـل وأبـوه صاحبـي ولـو عنـده زحمـة هيدخلنـا عـلى طـول..

نادر: مش مستاهلة يا حاج، خلاص لو تعبت تاني نروح.

الوالـد مستاءً: الـلي يريحـك يـا ابنـي.. أنـا رايـح أنـا وأمـك بيـت خالتـك نطمـن عليهـم.

نادر: أخبار مروة إيه؟

والدي: والله كويسة بس تقريبًا في حاجة بينها وبين جوزها.

نادر: طبعًا الكروتة اللي حصلت في الجوازة كانت لازم تختم بمشاكل.

خـرج والـدي ووالـدتي وأنـا لسـه قاعـد في السريـر أفكـر: هـل الـدم ده تقمـص مـن الحلـم ولّا إيـه؟

شلت الغطا عشان أقوم من على السرير وكانت الصدمة.. إيه ده!

البنطلـون مليـان بقـع دم.. ده مـش البنطلـون بـس.. ده التـي شـيرت كـمان بقـع دم صغـيرة كتـير.. قُمـت بسرعـة وقفـت قـدام المرايـة وقلعـت هدومـي وشُـفت جسـمي الـلي كان عبـارة عـن مصفاة..جسـمي كلـه خـروم أو مـكان لأنيـاب صغـيرة جـدًا اتغرسـت في مناطـق كتـيرة منـه.. ومـكان كل خـرم بقـع الـدم الـلي طلعـت عـلى هدومـي!

بصيت لا إراديًا على السرير لاقيت عليه.. بقع دم متفرقة..

لكن عيني لمحت حاجة تانية تحت السرير!

وطيت بسرعة تحت السرير.. شـاش لونـه أسـود عارفه كويـس لأني كنت ملفوف بيه.. شاش مرمي تحت السرير.

إيه ده!

هو ماكانش حلم؟! والتحذير كان حقيقي.. واللي كان بيعضوا في دول كانوا حقيقة.

طب والعمل!

أنا عاوز أعرف الباقي! بس لو رُحت لحفيظة تاني هتكون غالبًا نهايتي! طيب ما أنا تلميذ الشيخ لطفي، وعارف كويس إزاي أحصن نفسي من شره.. هو أنا نسيت اللي اتعلمته من علم الشيخ لطفي عشان واحد كافر.. قدر يخوفني بكوابيس.. طب ما أنا ياما شُفت أعمال وسحر وجن في حضره الشيخ لطفي..

فوق يا نادر أنت أقوى من الوقاد..

أيوة أنا اقوى بديني.. قُلت لنفسي كل ده عشان أشجع نفسي أروح تاني لحفيظة أكمل.

بس المشكلة دلوقتي.. الست دي عاوزة ٢٠٠ج، وأنا معيش فلوس ولسه واخد من والدي فلوس كتب كتير وآخر فلوس كانت معايا اديتها لها.. أنا لازم أروح لها حالًا عشان أخلص الحكاية الغريبة دي.. وأكيد هي عندها تفسير للي حصل لي.. لأ لازم أروح لها ده خصوصًا بعد الموضوع اللي حصل يخليني لازم أروح لها بشكل عاجل دلوقتي أكتر من الأول.

***

# الفصل السادس

## العودة للأب الروحي

قُمت خدت دش سخن وكان مؤلم جدًا مع كمية الجروح اللي في جسمي دي!

ودخلت المطبخ حضرت فطار كويس عشان أنا مش عارف هرجع إمتى!

خدت الفطار ورُحت للسفرة لاقيت فيه أكل موجود.. إيه ده احنا صحيح مش الصبح ده والدتي ربنا يكرمها سايبالي الغدا..

كلت وشربت شاي تقيل وقُمت غيّرت هدومي، وكان الراديو شغال في الصالة وشغال برنامج لاقيت الضيف يقول للمذيع: ((الحاجات اللي زي دي بفضّل يكون معايا فيها جهاز التسجيل.. بدل ما أنسى أي حاجة.. لعلمك وأنا بفرغ شريط التسجيل بلاقي حاجات مكنتش مركز معاها وأنا بسجلها)).

الفكرة نورت في دماغي!

الجملة دي زي ما تكون رسالة مبعوتة لي.. أنا فعلًا لازم أعمل كده..

أنا عندي جهاز تسجيل كاسيت صغير مابستعملوش، دورت عليه لاقيته وطلعت كذا شريط أغاني بتوع أبويا قُلت هسجل عليهم وهخبيهم لأنه لو عرف هيموتني.. وانتوا كمان ممكن تموتوني لما تعرفوا أنا أخدت شرايط إيه..

دارت الأيام لأم كلثوم - من غير ليه محمد عبد الوهاب - قارئة الفنجان عبد الحليم حافظ ..

قُلت هبقى أشتريله غيرهم.. كان من غير ليه وقارئة الفنجان لونهم أخضر، وعليهم الشعار بتاع صوت الفن ودارت الأيام رمادي وعليه الشعار بتاع صوت القاهرة للصوتيات والمرئيات..

اخترت شريط أم كلثوم.. وجبت بطاريتين وحطتهم وجربت الكاسيت لاقيته شغال، جربت أسجل عليه لاقيته تمام..

قعدت على ترابيزة السفرة وبدأت أحكي كل اللي حصل في مقابلتي مع حفيظة.

المغرب آذّن وأنا بحكي.. ووقفت عند لما سبت حفيظة.. أما الحلم فقُلت هعمله شريط له لوحده.. يمكن أشوف أحلام تانية ويبقى ليها شريط مستقل، وآخر حاجة سجلتها إني خارج دلوقتي رايح المندرة أقابل حفيظة المقابلة التانية..

خدت الكاسيت، وكنت خلصت الوش الأولاني من الشريط، وقلبت الشريط عشان أسجل على الوش التاني وحطيت قارئة الفنجان في جيبي وأنا بحطه سرحت شويه في اسمه.. مش يمكن تكون حفيظة دي بتنصب عليّ!! طب واللي حصل في الحلم!

خرجت من البيت ورجليّ عارفة طريقها.. عارفة رايحة فين كويس!

أو بمعنى أصح رايحة لمين؟!

أيوة.. أبويا الروحي..الحاج مختار..

لاقيته واقف في الشارع مع رجلين من البلد قدام بيته وبيلح عليهم يتفضلوا للعشا.. كعادته الكريمة.

لكن أول ما شافني ابتسم! أما أنا فحسيت من كتر الأحداث إني زي ما أكون ماشفتوش من سنة..

رحب بيّ وساب الناس وألحّ عليّ الدخول.. لقتني بقوله: عم مختار من غير مقدمات أنا عاوز فلوس.

مختار بلهفه: حاضر يا ابني عاوز كام..

نادر: هرجعهم لك علطول والله.

مختار: يا ابني هو أنا سألتك هترجعهم إمتى؟ أنا سألتك عاوز كام، ويعدين أنا مش هاخدهم، أنت زي ابني!

نادر: لأ طبعًا هرجعهم، بس أصل اتزنقت ومحتاجهم ومكسوف أقول لوالدي عشان لسه واخد منه فلوس الكتب والكلية.

مختار بقلق: أومال الفلوس دي عاوزها لإيه.

نادر: إيه؟!

مختار: عاوزها تعمل بيها إيه؟!

نادر: عاوزها هعمل بيها حاجة مهمة بالنسبة لي.. هقضي بيها مصلحة ياعم مختار.

مختار: إيه المصلحة دي يعني؟

نادر: خلاص يا عم مختار مش عاوز حاجة.

مختار: ماتتحمقش عليَّ.. وقولي إن اللي شاكك فيه مش صح!

نادر: شاكك في إيه؟

مختار: من وقت ما سألت عن الوقاد وأنا مبقتش مطمن.

نادر: ومال الوقاد بالفلوس؟

مختار: نادر.. أنت رايح للوقاد؟!

نادر: أروح له بفلوس ليه يعني؟

مختار: رايح تقوله إنك عيان عشان تعرف تدخله.

لو قلت لكم إن الجملة دي كانت بالنسبة ليَّ زي الوحي اللي نزل عليَّ، مش هتصدقوا أنا انبهرت بيها للدرجة إني ابتسمت وماردتش.

مختار: براحتك يا نادر، أنت عاوز كام، وأنا مش هسألك عاوزهم في إيه.

نادر: ٢٠٠ جنيه، وأوعدك هجيلك أحكيلك على كل حاجة وشكرًا يا أجدع عم مختار في الدنيا كلها.

خدت الفلوس وطيران على المندرة داخل دخلة الفاتحين.. أول ما دخلت لاقيت ناس كتير داخلة وناس طالعة.. إيه ده.. ده في عزا اضطريت أدخل أعزي وأنا مش عارف ده عزا مين!

طول ما أنا قاعد عينيَّ مش ثابتة رايحة يمين وشمال وبدوّر عليها هي فين؟!

اتفاجئت بأبويا في وشي وقعد جنبي وبص لي بابتسامة لا تناسب المكان والموقف اللي احنا فيه.

والدي: والله وبقيت صاحب واجب وبتحضر عزا أهل البلد.

نادر: آه طبعًا.. أومال.. ده واجب.

والدي: طب لما أنت عارف مش كنت تقولي بدل ما سِبت أمك واقفة في الشارع ودخلت.

أنا عرفت واحنا عند خالتك بموضوع الوفاة ده.

نادر: و أنا أعرف منين إنك هتيجي تعزي في العزية.

والدي: ما أنا جيت أهو!

نادر: خلاص يا حاج آدينا جينا احنا الاتنين.

والدي: عاوز مني حاجة أنا هقوم عشان أمك واقفة برَّه.

نادر: لا اتفضل أنا قاعد غالبًا كده للصبح.

والدي: نعم!

نادر: إيه في ايه..قصدي لحد بعد العشا.

والدي: ماتتأخ روّح شوف أحوالك ومذاكرتك.

نادر: حاضر يا حاج مع السلامة بقى.

ناس داخلة، وناس طالعة وفنجان قهوة ورا التاني، وأنا عامل زي الطفل التايه اللي بيدوّر على أمه.. زهقت وحطيت وشي بين إيديا وبصيت في الأرض.. لحد ما شُفت رجلين حافية مشققة التراب كاسيها.. واقفة قدامي.. رفعت وشي بالراحة.. لا قيتها واقفة في وشي..

حفيظة: بتدوّر عليّ؟

نادر: طبعًا مش فيه بينا معاد؟

حفيظة: وفيه بينا اتفاق..

نادر: آه.. وأنا جبت الفلوس زي ما طلبتي.

حفيظة: خلاص يبقى هنقعد مع بعض.

نادر: إمتى طيب؟

حفيظة: بعد ما العزا يخلص هجيلك.

نادر: شكله مطول وأنا زهقت.

حفيظة: ولا مطوّل ولا حاجة.. المهم ما تخرجش بعد ما الناس تمشي، خليك قاعد بأي حجة إنك مستني أبوك راجعلك تاني..

نادر: يارب بس يمشوا.

حفيظة: قوم أهو أصلًا الناس بدأوا يمشوا.

نادر: أقوم فين؟

حفيظة: ارفع راسك وبُص حواليك.

رفعت راسي لاقيت الناس اللي كانت قاعدة واقفة في طابورين بيعزوا أهل المتوفى وماشيين.. لكن حفيظة مالقتهاش ولا ليها أثر ولا كانت واقفة قدامي مكان ما كانت بتكلمني.. ازاي في لحظة كده اختفت!

قُمت وقفت أبص عليها مالهاش أي أثر!

دخلت جوة طابور وعزيت ورجعت دخلت المندرة من جديد وقعدت والناس عمالة تقل واحد ورا التاني لحد ما فِضِيت ولاقيت واحد من أهل الميت جاي ناحيتي.

سلامو عليكوا أنا محمود.

نادر: أهلًا وسهلًا.

محمود: حضرتك العزا خلِص والناس مشيت.

نادر: أنا قاعد مستني والدي هيعدي عليَّ.

محمود: شكلك غريب مش من العزبة.

نادر: الحقيقة آه بس العزا واجب علينا طبعًا.

محمود: كتّر خيرك ما يلزمش أي حاجة أساعدك بها.

نادر: لا والله كتر ألف خيرك..

محمود: طيب أستأذن.

نادر: بقول لحضرتك هو في ست عجوزة غلبانة بتبقى قاعدة هنا عاوز أدّيها حاجة لها.

محمود: مين حفيظة!

نادر: آه.. لأ.. أنا معرفش اسمها إيه.

محمود: بص هي ماتعرفش غلبانة ولّا تعبانة الله يسهلها.. جاهلة ولّا متعلمة.. غريبة الست دي.

نادر: طب هي فين؟

محمود: وقت العزا أهل أي ميت بيطردوها من المندرة.

نادر: بيطردوها؟

محمود: آه.. ولِّية شؤم وعيلتها زيها.. إن كان هي ولّا المخفي جوزها ولا المصيبة ابنهم.

نادر: آه ما هي قالتلي..

محمود: قالت لك! هي مين.

نادر: لأ أقصد حاجة تانية.

محمود: خلاص بقى خليها تكملك مدام قالتلك قبل كده بس نصيحة لوجه الله.. حفيظة تاريخها أسود و هتبيع أي حد وأي حاجه عشان ابنها.

مهما عمل فيها.. هتبيعك أنت وأنا ومليون غيرنا.. بس المهم تشوف ابنها وجوزها يدخلها البيت تاني.

دي عيلة كلها سودا، جوزها بندعي كلنا ليل ونهار ربنا ياخده ويريحنا من شره وأذاه.. ولولا الحُرمانية كانوا أهل البلد سابوها في الترب لما لقيوها قُدام ترب عثمان.. ما هو ده أنيل منهم بس غار ومات خلاص.. الدور والباقي على الوقاد وابنه يارب يولعوا همّا كمان.

بُص..أنا ما أعرفش أنت طبيعة كلامك معاها إيه و ليه! بس شكلك محترم.. فخلي بالك.

نادر: حاضر.

محمود: أستأذن أنا، وماتقلقش هتظهر لك فجأة زي ما بتختفي كتير فجأة.

نادر: أنا متشكر جدًا يا أستاذ محمود.

ومشي محمود وفضلت قاعد في المندرة والساعة عدت تسعة ونص وأنا لوحدي مستني الهانم تشرف..

لحد ما سمعت صوت خطوات هادية ولقيتها داخلة.. وجاية ناحيتي لكن عينها كان فيهم غضب مرعب جدًا..

***

# الفصل السابع

## شر نهاية!!

ابتسمت لها ابتسامة مصطنعة.. وقُمت وقفت وصلت لحد عندي وقعدت على المصطبة اللي كنت قاعد عليها وقالت: اقعد.

نادر: اتأخرتي انتي عليَّ يا ست حفيظة.

حفيظة بحده شديدة: أنت ازاي تتكلم عني.. أنا سمعت كل حاجة.

نادر: أنا ماحكتش حاجة من اللي قولتيهولي خالص.

حفيظة: أنا بقول اتكلمت عني مع محمود ابن آمال ليه.

نادر: ما أعرفش إن ده هيضايقك.. معلش.

حفيظة: ماتتكررش تاني يا نادر..أحسنلك!

نادر: حاضر.. اتفضلي وطلَّعت من جيبي ١٠٠ جنيه.

حفيظة: إيه دول! مش أنت قُلت جبت المطلوب.

نادر: ده نصه قبل ما نبدأ والباقي لما نخلص.

حفيظة: لا ناصح.. أنا لو عاوزة ما أحكيش مش هحكي.

نادر: طب ممكن نتكلم في المفيد ومانضيعش الوقت.

حفيظة: قول إيه المفيد؟

رفعت كُم القميص وقولتلها تعرفي تقوليلي إيه ده!

حفيظة مسكت دراعي وفضلِت مركزة معاه وقالت:

- دي عضة.. لا عضات كتير.. منهم.

نادر: هُمّا مين؟

حفيظة: الحرس.. الوقاد له حرس وظيفتهم يخوفوا أي حد يفكر يتعرض له ولو حتى بالكلام ياما جولي أول ما طردني.. بس هُمّا في الأول بيجوا يخوفوك بس في أولها كده عض! ومش هتلاقيهم عرّفوه بده أصلًا.

نادر: وإذا قُلتلك إنه هو جه بنفسه جه وحذرني.

حفيظة: هو! إزاي يعني!

نادر: أيوة الوقاد كان معاهم وهو اللي حرّكهم وربطني وهددني.

حفيظة: بس إزاي يجيلك.

نادر: والله زي ما بقولك كده.

حفيظة: بُص من عِشرتي معاه، فيه جن من المسخرين بياخد شكل وهيئة الوقاد وده بموافقة الوقاد.. فهو ده اللي أنت شُفته.. ولعلمك الوقاد مايعرفش حاجة عن الموضوع.. الجن ده بيتصرف من دماغه، وكان الأول بيرجع له يحكي له لحد ما الوقاد قاله شوف شغلك من غير ترجع كل شوية تحكي لي.. ده سمعته بودني في مرة وكان بيزعق له جامد.

نادر: طب والعض ده كله؟

حفيظة: مش هيجولك تاني.. ماعندهمش حاجة يعملوها تاني.

نادر: أنا مستغربك جدًا.. شويه أحس إنك جاهلة وشوية أحس إنك متعلمة أحسن مني.. شوية أحس إنك غلبانة وشوية أحس إنك ماتقليش في الشر عنه.. انتي مين في دول؟!

حفيظة: أنت تفرق معاك في إيه.. هات ال ١٠٠ جنيه.. أنت هتفضل ماسكها كده كتير ؟!

خدت ال ١٠٠ جنيه الأولانية واشترطت إني اسمع وما أقاطعهاش، ما اتضايقتش من الكاسيت وبدأت تكمل:

أنت كنت عاوز تعرف أنا اتطردت إزاي!

الوقاد وابني بقوا عصابة وأنا بقيت مجرد خدامة بتأكّلهم قفلت على نفسي باب أوضتي.. حاولت أرجع أساعده زي الأول منعني وقالي خدتي بدل الفرصة كتير.

لحد ما في يوم كنت نايمة صحيت على صوت واحدة ست.. أيوة واحدة ست في البيت.. أنا اتجننت وعقلي طار.. الوقاد جايب واحدة في البيت..أنا برضو في الآخر ست!

قُمت من على السرير أمشي ورا مصدر الصوت لحد أوضة الوقاد لكن لاقيت الصوت مش جاي منها!

الصوت جاي من أوضة تانية! أوضة ابني! بقيت واقفة أقول يا نهار أسود واحدة في أوضة ابني.. ابني اللي كبر بالسحر والشر اللي لسه شايفاه لحد دلوقتي عيل.. واحدة في أوضته.

قربت من الأوضة.. الصوت سكت شوية وبدأت أسمع همس صوت وأفتح باب الأوضة وأدخل زي أي أم وألطش ابني بالقلم لكني خايفة.. الصوت رجع تاني.. بس المرة دي صوت الوقاد اللي سمعت صوته بوضوح بيقول:

«أهب لك وريثي.. أهب لك ابني»

وسمعت صوت ست فعلًا لكنها كانت بتطلع صوت مرعب جدًا مش مفهوم.. واتكلمت برضو كلام مش مفهوم.

لكن الكلام اتغير.. وبدأت أفهم كلامها.

الولاء كل الولاء لابن آدم المنشق عن نسل آدم.

الطاعة كل الطاعة لابن حواء المنشقّ عن نسل حواء.

وسمعت صوت ابني بيقول:

«وأنا قِبلت الزواج من ابنة مارد النار والأرض.

ابنة الحاكم - المطاع- ابنة النار -ابنة الأرض.»

يا خبر أسود : ابني بيتجوز !

وأنا واقفة برّه زي الغريبة.

ورجع الوقاد اتكلم:

«أهب لك وريثي - أهب لك ابني.»

فردّت هي: الهبة وصلت إلى أبي وأمرني بالحضور.. لأزوجك نفسي

ورد ابني: وأنا قِبلت زواجك.

الوقاد: بحق أول من انشق عن الرحمة والنعيم.

بحق من ترك الجنة لكبريائه العظيم.

بحق من غوى آدم وتركه في عذاب أليم.

بحق من رفض السجود للطين.. قبلت.. قبلت.. قبلت.

أنا سمعت كل الكلام ده ما استنتش، قُمت زاقة الباب ودخلت شُفت ابني واقف لابس جلابية سودا وأبوه زيه.. وشُفتها كانت حلوة عادية لكن بجرد ما شافتني فتحت بوقّها وكشرت و سنانها خرجت برَّه وزعقت بصوت زي الكلب ووشها اسودّ وطلع فيه شعر كتير لحد ما بقت فعلًا كلب وطلعت تجري من الأوضة ووقعت أنا على الأرض وخرجت هي تجري.

بعدها حسيت بضرب الوقاد ليّ وهو بيصرخ: قطعتي الجلسة يا ملعونة.. مش هعرف أجوزه أي جنية تاني بدأت أصرخ أنا كمان وأقوله: احسن احسن..

قطعتي طقوس الزواج يا ملعونة.. قضيتي على وريثي!

أما عن ابني فكان قاعد على السرير ساكت مايتحركش وسايب أبوه يضرب فيَّ..

الوقاد بَص لي وقاله شيلها ارميها برَّه.. دي ضيعتك.. أنت اللي منعتني نرميها برَّه من الأول.. كده مالكش جواز من بنات الجن أبدًا وهي السبب..

قام ابني من على السرير وعدانا وخرج.. أبوه وقف وفضل يزق فيَّ لحد باب البيت وأنا أبوس إيديه يسبني وفتح الباب وأنا أحلفه بأي حاجة أفضل بسيبها جوة البيت.. لحد ما جه ابني أخيرًا نطق: سيبها..

الوقاد: نعم..

ابني: بقولك سيبها.

الوقاد: بعد كل اللي عملتهولك بتقولي سيبها!

ابني: قولتلك سيبها.

الوقاد زقني ورماني على الأرض وقاله اشبع بيها!

وطلع أوضته.. فضلت أعيط.. ابني سندني وداني أوضتي وفضلت أقوله نهرب يا ابني

ماردش عليَّ وقفل باب أوضتي وراه ومشي من غير ما يعلق.

كانت ليلة صعبة عليَّ جدًّا كملتها عياط وندم على كل اللي عملته من ذنوب طول عمري ونمت من التعب..

وصحيت على هوا بيخبط في وشي فتحت عينيَّ لقتني.. لقتني في شارع عارفاه كويس شارع الترب.. وإيديَّ ورجليَّ متكتفين ومرمية على الأرض.. وواقف قدامي وقاد وابني.. ويبدأ ابني يتكلم: بوظتي كل حاجة.. بوظتي لي حياتي.. بوظتي لأبويا كل اللي كان ناوي يعمله ليَّ.

قولتله: خلاص يا ابني مش هتدخل تاني.

قالي: ما انتي مش هتدخلي تاني عشان خلاص مالكيش مكان وسطنا تاني.

الوقاد: خلاص يا حفيظة، إوعي تكوني فاكرة إنك ممكن تقلبي وشي عليَّ، ده شارب الترياق.. هو المحرم من جوازة آه لكني هجوزه واحدة زيك يعمل فيها زي ما عملت فيكي وتكون جارية زيك.

حفيظة: خلاص يا وقاد اللي تطلبوه هعمله.

الوقاد: مش عاوزين منك حاجة تاني.. إحنا حتى مش هنموتك.

حفيظة: انتوا هتيسبوني مرمية هنا في التُّرَب لوحدي للصبح.

ابني ضحك بصوت عالي: هنسيبك آه.. لوحدك لأ.

ولاقيته جاب فأس كبيرة وعلى باب تربة فضل يدق ويقول: إحنا بنقلق نومكوا اخرجوا.. إحنا بنأذيكم اطلعوا.. إحنا بنتحداكم..

يا معشر الموتى.. يا معشر الأرواح.. يا آل عتمان.. وفضل يدق بالفاس وبدأ الباب يتكسر.. ومعاه اتكسر طوب كتير من طوب التربة.. ودخل الوقاد وبدأ يخرج جثة قديمة عبارة عن هيكل عظمي وكفن شايفاها بسبب نور القمر ورماها قُدَّام التربة برَّه

وابني نزل عليها بالفاس وأنا هموت من الخوف وأصرخ وأقوله:

- لا يا ابني بلاش الميتين بلاش دول.. ابني كان جوة عينيه نظرة مجانين..

وفضل يقول ورونا هتعملوا إيه بعد ما خلص شال أكوام العضم ورماها جوة التربة، وقام زاقفني و خلي وشي مقابل للتربة وقال مع السلامة.. الوقاد قال لي: ابقي قوليلهم إنك ماعملتيش حاجة، وإنك مراتي وأم الوريث.. بالمناسبة دي جثة «عتمان»

وعتمان الكبير نفسه..

يعني أنا موتّه وجيت قلقت عضمه..

وبدأ الوقاد يضحك بهستيرية

وخد ابني ومشي.. لأ ابني إيه بقى.. أيوة ابنه .

فضلت أصرخ وأستنجد ولكن مشيوا والمكان سكت تمامًا وأنا جسمي

عمال يترعش وينتفض من الرعب والبرد المحيط بيَّ و عينيَّ مركزة جوه التربة الضلمة اللي اترمى عضم الجثث فيها.. وبالمناسبة عيلة عثمان دي زيها زي الوقاد بتوع تحضير زيه لكن مات منهم ٣ فجأة دفنوهم وسابوا البلد.. فيه ناس قالوا إن الوقاد هو اللي موتهم.. المهم إنهم اتدفنوا هنا وأنا قدام تربتهم حالًا. ومدفون معاهم كبيرهم، قالوا الوقاد موّته واتنين انتحروا بعده، والله أعلم.

بحاول أقوم مش قادرة ماقداميش غير إني أفضل مكاني لحد ما الصبح يطلع.. والناس تمشي في الشارع وأصرخ ويسمعوني لأن واضح إن التربي من حظي مش موجود الليلة، لكن بدأت أشوف في القبر في الضلمة جوة حاجة نورت نور صغير واتطفا بعدها نوَّر تاني واتطفا.. بعدها بدأت ألمح حركة جوة الضلمة..

بدأت أوسع عينيّا عشان أشوف أكتر.. ومش عارفة.

لكن فجأة شُفت في وشي على مدخل القبر المتكسر شخص خارج زاحف من القبر و جلد وشه دايب وكمل زحف وقرّب مني.. ومدّ إيديه ومسك طرف جلابيتي فضلت أصرخ وأحاول أزحف لورا وهو بيشد فيَّ لكن كان ضعيف، مقاومتي كانت أقوى منه بكتير فزحفت لورا فعلًا وماقدرش يحركني لكن إيديه فضلت متبتة في هدومي..

وخرج باقي جسمه.. جثة بني آدم متحللة، وبيحاول يقف مش عارف، لحد ما خرج واحد تاني زيه ومسك في هدومي هو كمان وبدأوا يشدوني لحد التربة، فضلت أقاوم وأصرخ.. لحد ما سمعت صوت ورايا لاقيت حاجة طويلة جدًا مش عارفة أوصفهالك.. هي عاملة زي ما تكون ست لكن شعرها منكوش وطويلة أوي ورجليها عاملة زي رجلين الحيوانات ووطت عليَّ وبدأت تشم فيَّ: وقالت قولي للوقاد الرد جايلك ومش هتتحمله.. وبرجلها زقتني زقة خدت اللي كانوا بيشدوني

واترقينا كلنا جوة التربة.. مع الزقة بصيت وأنا جوة القبر شُفت رجليها بس ومشيت.. وأنا فضلت جوة التربة سامعة صوت نكش حواليَّ في كل مكان..

ما تحملتش الموقف وأغمى عليّ لكن وأنا غايبة عن الوعي سمعت كلامهم ارموها برَّه.. الأم ستنتقم لأبينا بعدها فُقت لقتني في المستوصف وبعدها جيت هنا؟

وكل يومين ألاقيه جاي هنا يهددني ويقولي إنه يقدر يعمل أكتر من اللي عمله بس ما قولتلوش على اللي العفريتة قالته!! خليها تحرقه يارب!

بس من أول مرة أنت جيت مجاش.. مسيره يجي.. حتى سألته عن ابني قالي إنه لو ابني جالك هيعمل فيكي أكتر من اللي عمله المرة اللي فاتت.. هو مابقاش ابنك خلاص.. هو وريثي دلوقتي..

خلصت حفيظة كلامها وعرفت منها كده حاجات كتيرة عن العيلة الملعونة دي.

حفيظة: أنا ماعنديش حاجة تانية أحكيها.

نادر: آه خلاص أنا حتى هقفل الكاسيت أهوه.

حفيظة: طب هات باقي الفلوس.

نادر: لما تقول لي إزاي أدخل البيت عند الوقاد وابنك.

حفيظة: نعم..تدخل فين! أنت اتجننت!

نادر: هدخل عاوز أشوف أكتر من إني أسمع.

حفيظة: ما أعرفش أدخلك.. هو أنا عارفة أدخل!

نادر: طيب أنا لو عملت عيان ورُحت له!

حفيظة: ما أعرفش! هيكشفك.. بيقدر يعرف

نادر: ما هو لازم حل.

حفيظة: شوف حد عيان وعليه جن وخُده وروح وكده هتبقى أنت في السليم ومعاك حد بجد عيان!

نادر: خدي باقي فلوسك الساعة اتأخرت ولازم أمشي!

حفيظة: خلي بالك الوقاد غضبه وانتقامه صعب.

***

# أرض الترعة

كانت الساعة تقريبًا ١٢ بالليل لما سبتها، ومشيت و أنا لسه دماغي مش مقرره هعمل إيه بالظبط!

مشيت في الشارع أقلب كل اللي حكته في دماغي..

أد إيه الست دي دماغها توزن بلد ومش جاهلة..

أد إيه مش سهلة و اتعرضت لمواقف رهيبة إلا إنها قوية.. ابتزتني عشان تبيع اللي عاوزه تقوله.. أيوة اللي هي عاوزة تقوله.. لأني متأكد تمامًا إنها خبت حاجات كتير.. وحكت اللي هي عاوزة تحكيه بس.. موضوع إنها ظهرت وسط الناس واختفت فجأة ده معناه إيه برضو؟

أسئلة كتير وأفكار متداخلة فُقت منها وأنا في شارع الترعة بين بلدنا والعزبة الغربية.. فُقت على صوت حاجة بتقع في الترعة.. حاجة كبيرة وعملت صوت.. وقفت بصيت من بعيد على الترعة أشوف في إيه؟

صمت تام.. كملت مشي بعدها سمعت حاجة زي ما تكون بتعوم في الميَّه جنبي.. وقفت الصوت سكت.. رجعت كملت مشي الصوت كمل.. وقفت وقُلت مابدهاش مشيت ناحية الترعة.. كان في شجر غاب حاجب الرؤية.. الرؤية دي بالمناسبة يا دوب نور القمر..

مشيت جوة الغاب ده وبقيت أزقه بالراحة يمين وشمال عشان أوصل للترعة لحد ما وصلت.. منسوب الميَّه كان منخفض زيادة عن اللزوم فباين الحاجات اللي في قاع الترعة ما بين حيوانات ميتة على زبالة على شولة بتاعة سماد.. بس فيه وسط كل دول حاجه كده مكورة وكبيرة وبارزة عن كل الحاجات اللي حواليها في أرض الترعة..

لكن عشان هي مش زي أي حاجة غرقانة في الترعة اتحركت و بدأت تقوم.. أو تحديدًا اتفردت.. وقفت واتفردت وطولت طولت طولت لحد ما بقت حاجة مش طبيعية.. ست نحيفة جدًا طويلة شعرها منكوش ومش قادر أشوف ملامحها من الطين.. اللي كاسيها..

اتحركت ببطء ناحيتي.. بدأت أنا كمان أتحرك بضهري ببطء شديد جوة الغاب واحدة واحدة.. وقفت هي، لكن أنا كملت تراجعي بضهري بهدوء شديد.. في لمحة لقيتها جاية بسرعة رهيبة ناحيتي، سرعتها شلتني مكاني اتلخبطت وقعت على ضهري وماالحقتش أعمل أي حاجة لأني لقيتها واقفة عند رجليَّ..طولها مش طبيعي ورجليها مش رجلين بني آدمين نفس الوصف اللي وصفته حفيظة.. بدأت أقولها أنا ماعملتش حاجة.. أنا ماعملتش حاجة.. يارب انجدني يارب.

نزلت بجسمها زي الأفعى ووشها قريب من وشي وشُفت وشها وش أسود نحيف عينها صفرا مشقوقة طوليًا وشها مليان طين.

أنفاسها حارقة لا تحتمل.. وقربت من وشي جدًا غمضت عينيَّ وبدأت أتشاهد وشريط حياتي كله مر بسرعة في عقلي وفُقت على صوتها في وداني بتقول: بلغ الوقاد إني هخلص عليه بنفسي..

لما سمعت الجملة جالي شجاعة غريبة وحسيت إني مش أنا المستهدف وقولتلها هو انتي مين ؟ فتحت عينها على الآخر وصدر منها حرارة شديدة جدًا أذتني.

وقالت: جنية عتمان.. مراته

أنا مراته..

في اللحظـة دي افتكـرت حكايـة جـواز ابـن الوقـاد الـلي باظـت بسـبب حفيظـة.. عثـمان بقـى اتجـوز مـن جنيـة فعـلا!

كملت كلامها وقالت لي: دخّلني عنده.. دخّلني عنده.

بحذر وقلق قولتلها: أدخلك إزاي؟!

ردت: هو محصن بيته.. دخلني أنت بالحجاب.. دخلني بالحجاب.

واختفت تراجعت بسرعة وعاد للمكان كله هدوؤه.

قُمت وقفـت وطلعـت أجـري زي العيـال الصغـيرة لحـد مـا خلصـت شـارع الترعـة .

وأول مـا دخلـت البلـد تظاهـرت بالهـدوء وأنـا مـاشي في الشـارع لكـن هدومـي الـلي اتملـت تـراب وطـين مـن وقعتـي في الغـاب كانـت ملفتـة للـكام واحـد القليلـين الـلي كانـوا ماشـيين في الشـارع وشـافوني وبرقـوا..

وصلـت البيـت وكانـوا نايمـين.. دخلـت خـدت دش دافي كنـت محتاجـه جـدًا وطلعـت دخلـت المطبـخ وعملـت كوبايـة شـاي ودخلـت أوضتـي.

وجبـت الكاسـيت وورق وقلـم وجبـت الـلي سـجلته مـن الأول وبـدأت أسـمع وأسـجل ملاحظـاتي..

نمـت عـلى المكتـب مـن كـتر التعـب وأحـلام وكوابيـس كتـيرة متداخلـة طاردتنـي، ولكـن أوضحهـم كان حلـم لبنـت صغـيرة خبطـت عـلى بـاب أوضتـي وقعـدت معايـا وقالـت لي ماتنسـاش حجـاب الجنيـة! دخّلهـا!

قولتلها يعني إيه؟

البنت: عثـمان الكبـير كان أقـوى مـن الوقـاد لكـن الوقـاد فضـل يـمارس كل أنواع السـحر والـشر لحـد مـا قـضى عـلى نـص العيلـة ومـوّت عثـمان.. والجنيـة

مش عارفة تنتقم منه، حاطط طلسم حوالين بيته يمنع دخولها.. لكن الحجاب بيفك الطلسم وتقدر تدخل..

نادر: طب ما تأذيه وهو برَّه البيت.

البنت: هي عاوزة تخنقه جوة بيته زي ما عمل في جوزها.

نادر: طب وابنه؟

البنت: هتدخل وهو برَّه لأنه أسوأ من أبوه.. ومسكت إيدي وقالتلي ألف سلامة.

نادر: وأنا إيه استفادتي لما أعمل كده.. هو ماعمليش حاجة.

البنت: لأ عملك وهيعملك وهتضمن عدم غضب الجنية.

نادر: ده اللي هو إزاي يعني؟

بدأت البنت تبص بغضب شديد ويدأ جلدها ينسلخ من على جسمها وخرج منها جسم أسود طويل نحيف عيونه صفرا مرعبة سنانه حادة مريبة جسمها كله متفحم وطولها مخيف.

كنت قاعد على الكرسي وهي واقفة قدامي زي العملاقة!

وبصوت عامل زي أصوات كتير خارجة من الجحيم قالت: دخلني عنده.. دخلني عنده وفضلت تكرر في الجملة .

لحد ما صحيت وأنا مخنوق وقُمت من على السرير تعبان جدًا.

لكني افتكرت !

الشاش الأسود بصيت تحت السرير مفيش له أي أثر .

فتحت الأوضة وخرجت أسأل ماما اللي قالت لي شاش إيه أنا مادخلتش أوضتك من امبارح.. سبتها ودخلت الأوضة قلبتها مفيش أي حاجة.

لا فوق السرير ولا تحته ولا كأن في أي حاجة!

حاجه جت في بالي ما أعرفش إزاي ومنين.. قفلت باب أوضتي بالمفتاح وقلعت القميص والبنطلون ووقفت قدام المرالية زي ما توقعت كل آثار الجروح واللي كان موجود كله اختفى تمامًا!

هل البنت هي السبب أو الجنية دي من باب الرشوة يعني ده عشان أنفذ المطلوب.. طب وإذا أصلًا نفذت.. هو فين الحجاب ده أصلًا!!

باب الأوضة خبط وحد حاول يفتح قُلت: ثواني ولبست بسرعة وفتحت لاقيت والدتي داخلة وشكلها متضايق جدًا.

نادر: خير مالك في إيه؟

والدتي: يعني مانتش عارف!

نادر: عارف إيه يا ماما؟ في إيه؟

والدتي: أبوك قالّي.

نادر مقاطعًا: يووووه يا ماما..هو بابا ليه مكبر كل حاجة.

والدتي: مكبر..هو كده أنت شايفه مكبر!! ما اتعودتش منك تكون سلبي كده يا نادر.

نادر: يا ماما سلبي في إيه؟ هو أي كلام يتقال وخلاص نصدقه ؟!

والدتي: خلاص يا ابني.. أنا غلطانة.. كنت فاكرة إني هعرف آخد وأدي معاك في الكلام، ولكن واضح إن كلام أبوك صح.

نادر: وبابا قال إيه؟

والدتي: قال إن حالك اتغير وبقيت غريب وإنك مخبي حاجات كتيرة عننا.. ده حتى استغرب لما شافك في العزا.

نادر: طب ده كله معناه إني وحش!

والدتي: يا ابني أنت بتقضي الغرب واجب وبتيجي على اللي يخصنا تسيبه!

نادر: هو إيه اللي يخصنا ده.. أنا مش فاهم حاجة.

والدتي: مرروة بنت خالتك!

نادر: مروة مالها ؟

والدتي: هو إيه اللي مالها أومال انت بترد عليا في إيه من الصبح! هو مش أبوك قالك!

نادر: قالي! قالي إيه! آه آه عندها مشاكل مع جوزها تقريبًا..

والدتي: مشاكل! يا ابني مروة طالبة الطلاق أومال أبوك قالك إيه!

نادر: يا أمي أنا مش فاهم.

والدتي: يا ابني أنا عاوزاك تاخدها توديها للشيخ لطفي لأن امبارح لما ضغطنا عليها فضلت تلطم وتصوت وعملت حركات غريبة.

أبوك بقى لما قولتله نادر ياخدها و يوديها أو نجيبها هنا تاني والشيخ يجي قالي الشيخ لطفي زعلان منا وإنك أنت السبب..هو أنت زعلته في حاجة يا نادر ؟!

نـادر: والله أنـا ولا زعلتـه ولا أي حاجـة.. خـلاص أنـا هعـدي عليهـا وآخدها و أروح للوقـاد.. أنـا مـا أعرفـش ازاي نطقـت الاسـم وهـو مكنـش في بالي ولا كنـت عمـري هفكـر في كـده.. أنـا كل تفكـيري إني كنـت أعمـل عيـان وأروح لـه.. ده إذا رُحـت!

الكلمـة طلعـت مـن بوقـي ودخلـت دماغـي.. تفكـيري كلـه اتشـل لثانيـة وبعـد مـا حصـلي عاصفـة مـن الأفـكار المترابطـة بالسـيناريو!

اللي هيحصل مروة عيانة فعلًا يعني أنا مش هكون بكدب.

هقـدر أدخـل وأعـرف كل حاجـة.. هبقـى حققـت كل الـلي أنـا عـاوزه وعملـت مـشروع تخرُّجـي ووصلـت لأقـصى درجـات طموحـي في عـالم الغيبيـات.. إيـه ده.. ده أنـا لـو مرتبهـا مكانتـش هتطلـع بالدقـة دي أبـدًا!

كـده اصطدنـا خمـس سـت عصافـير بحجـر واحـد.. قطـع تفكـيري كلمتـين من أمي: طـب وأنـا.

فُقـت فجـأة مـن السرحـان الـلي كنـت فيـه وبصيـت لقيـت البـت الصغـيرة تـاني وأمـي مـش موجـودة.

قولتلها وانتي إيه.

البت: رتبت كل حاجة ونسيتني!

نـادر: أنـا مانسـتكيش ولا حاجـة بـس بـس.. تداخـل صوتهـا مـع صـوت أمي وتبدلـت ملامحهـا لملامـح أمـي.

والدتي: خلاص يا حبيبي شوف هتروح إمتى وأنا هاجي معاك.

نادر: لأ.

والدتي: خلاص خد والدك.

نادر: لأ..أنا مش صغير أنا هروح لوحدي.

والدتي: خلاص يا حبيبي.. رتب أمورك وشوف هتروح امتى وأنا هبلغ خالتك ومروة مش معترضة على فكرة..

أنا هقوم أكمل غسيل..

وطلعت أمي وجبت ورقة بسرعة وقلم وكتبت خطوط عريضة للي هيحصل كله.. ماعدا ما يخص الحجاب لأني لسه ماقررتش هعمل إيه.. وسبت الورقة على المكتب وقُلت لازم النهارده أفصل تمامًا وآخد إجازة من الأحداث المتلاحقة دي شوية..

وبكرة أقرر هعمل إيه..

خرجت من البيت ورُحت بيت خالتي..مروة لو نسيتوا هي بنت خالتي اللي الشيخ لطفي المفروض عالجها بالرقية وكده والحقيقة إنها بقت كويسة و اتجوزت و المفروض إن الحياة بقت تمام لكن واضح إنها مش تمام ولا حاجة.

أنا مش هنسى يوم جواز مروة.. أمها كانت بتعمل حاجات غريبة جدًا.. كل دقيقة تروح ترقيها.. و كل ما حد يسلم على مروة تجري تمسح إيد مروة بالمناديل و أي بنت تيجي تبوس مروة تشدها وتقول لها بلاش علشان المكياج هيبوظ.. كان منظرها كوميدي جدًا والناس كلها كانت بتتريق عليها.. لكن الأهم من ده غير إن منظرها مسخرة لأ كان منظر مفضوح جدًا.. ومحدش مافهمش خالتي بتعمل كده ليه.. والتعليقات كنت سامعها بوداني.. ما بين: «معلش ماهي طلع عينها على بال ما جوزتها»

«الولية اتجننت»

«هي فاكرة إن بنتها مفيش غيرها ولّا إيه»

«اعذوروها ما البت طفّشت عرسان ياما»

«دول بيقولوا إنها عملة عمل للعريس»

و كلام كتير من العينة دي

المهم اتجوزت وآديني رايح اشوف إيه حكايتها؟!

وصلت بيت خالتي وخبطت ووقفت شوية برَّه سامع حوار بين خالتي و مروة و صوت بيعلا فخبطت تاني.. الباب اتفتح ولقيت مروة

مروة: نادر انت إيه اللي جابك؟

نادر: نعم؟

مروة: نعم الله عليك.. بقولك إيه اللي جابك؟

تدخلت خالتي في المشهد: اتفضل ياناادر يا ابني معلش اصل مروة اتجننت تاني

مروة: أيوة اتجننت و أنت جاي بقى ياعم الشيخ تنقذها صح؟ صح؟

نادر: مروة اهدي شوية، في إيه..

مروة: ما فيش حاجة.. ارجع للي باعتينك و قول لهم أنا هتطلق يعني هتطلق.

نادر: حاااااضر ممكن أدخل طيب؟

مـروة: هـو إيـه واحـدة عايـزة تطلـق لازم تكـون يـا ملبوسـة يـا مجنونـة عندكـم؟!

خالتي : ادخل يانادر يا ابني..

دخلـت و مـروة قعـدت عـلى الكـرسي و بـدأت تحكـي عـلى خلافـات زوجيـة عاديـة جدًا وارد جدًا إنهـا تحصـل بيـن أي اتنيـن متجوزيـن ووارد برضـو جدًا إنهـا تحصـل ووارد إنهـا توصـل للطـلاق.. مابيـن إهمـال و تجاهـل و حاجـات بتحصـل في أحسـن العائـلات زي مـا بيقولـوا..

مروة: ليا حق أتطلق ولا لأ ؟

نادر: أيوة بس أنا سمعت منك بس..

مروة: يعني أنا كدابة؟

خالتـي: أيـوة يـا ابنـي كلامـك عـين العقـل، أنـت لازم تسـمع مـن جوزهـا كـمان دي مـش مديالـه فرصـة.

مروة: لاء لاء..ماتقعدش مع البني آدم ده.

نادر: طيب انتي إيه يرضيكي؟

مروة: أتطلق..

نادر: حاضر هطلقك بس هنعمل مشوار سوا.

مروة: كفاية مشاوير ..

نادر: ماما قلت لي إنك مش معترضة.

مروة: أنا مش معترضة.. بس الحكاية إني مش عاوزة أرجع له.

نادر: معلش خديني على قد عقلي يا مروة.

مروة: على العموم الشيخ لطفي راجل محترم...

خالتي: مقاطعة الحوار.. راجل بتاع ربنا و هو اللي مجوزك.. قومي البسي هدومك و أنا هغير و نروح بيت خالتك و نادر هيروح يجيبه.

أنا سمعت الكلام فلاقيت كمية كوارث طالعة منه فقاطعت خالتي:

- لأ ياخالتي و لا هتلبسي هدومك و لا هنروح عندنا البيت ولا أنا هروح أجيب الشيخ لطفي أساسًا..

مروة: يعني إيه؟

نادر: الشيخ لطفي أنا كلمته و قالِّي هاتها و تعالى أنا مش هقدر آجي المرة دي خالص.

خلتي: طب هاجي معاكم.

نادر: لاء هو اشترط محدش يجي غيري.

خالتي: نعم؟ ليه يعني؟

نادر: هو أنا مش اد المسؤلية يا خالتي!

خالتي: لأ مش القصد.. بس المرة اللي فاتت مكنش النظام كده يا نادر يا ابني.

استمر الحوار والقعدة طولت جدًا.. و في الآخر أنا انتصرت، ودخلت مروة تلبس هدومها، و أنا قعدت أفكر في الخطوة اللي أنا خدتها.. هو أنا مستوعب بعمل إيه؟ هو أنا عارف أنا مقبل على إيه؟

أنا واخد بنت خالتي موديها فين؟ و لمين؟

أنا رايح للغول برجليّ!!

يا ترى هو هيقابلني ازااي؟

يعرفني وهيكمل انتقامه، ولّا مايعرفش أي حاجة حسب رواية حفيظة؟!

أسئلة كتير و لخبطة كتير و دوامة أفكار قطعها صوت مروة وهي بتقولي: يلّا يا نادر أنا جاهزة.

***

# الفصل الثامن

## من غير ليه

خرجنا ومشينا في الشارع نـدردش سـوا و أنـا دماغـي معاهـا في كلام و كلام تاني مش سامعه ومشينا وروحنا العزبة ومروة غالبًا مش واخده بالها.

ووقفت في الشارع و سألت على بيت الوقاد.. الراجل اللي سألته بص لي بصة رعب وهلع و قالي الشارع اللي بعد اللي جاي..

رجعت لها فقالت لي هو إيه الوقاد ده؟!

قولتلها وقاد!.. وقاد إيه؟!

مروة: أنا سمعتك بتقول للراجل فين بيت الوقاد..

نادر: اه.. هبقى أحكيلك..

وكملنا مشي و دخلنا الشارع اللي المفروض البيت فيه.

مشيت أبـص يمـين و شـمال أدوّر عـلى البيـت لحـد لما لاقيتـه وعرفتـه لوحـدي.

بيت تـلات أدوار قديـم شـبابيكه طويلـة جـدًا.. النـاس بتيجـي عنـده و تلاقيها سرعت مشيتها و كأنها بتهرب منه.. بيت كئيب في شكله من برّه.

و اتأكدت أكتر إنه بيته لما لاقيت الباب بيتفتح و خرج منه اتنين ستات ساندين واحدة تالتة، و عمالين يقولولها ما تقلقيش بإذن الله شهر و هتحملي زي ما سيدنا الوقاد قال.

مروة بصت لي وقالت: الوقاد..الوقاد.. آهو الاسم اتقال آهوه..

قربنا من الباب فالست اللي كانوا سانديها قربت مني، و قالت لينا:

- بلاش..بلاش.. اللي بيجيله مرة مابيعرفش يبطل.. بلاش..

تجاهلت كلامها وخبَّطت على الباب..

اتفتح الباب ولاقيت واحد عنيه بيضا تمامًا، واضح إنه كفيف.. فضل واقف ساكت ..

مروة اتفزعت و مسكت فيَّ.

بعد صمت لدقايق.. الراجل قال: انتوا مين وعايزين إيه؟

نادر: إحنا جايين للوقاد.

الراجل المجهول: الشيخ الوقاد تقصد.

نادر: آه..

الراجل المجهول: بس انتوا اتأخرتم.. تعالوا بكرة..

مروة: طب كويس يلا بينا يا نادر

الراجل المجهول: استنوا. وقفل الباب.. ورجع فتحه.. سيدنا قال اتفضلوا.

دخلنا.. وخليني أوصف لكم المشهد بالظبط.

بيت قديم و أنت ماشي على أرضه الخشب بتصدر أصوات طرقعة تخوّف، و على يميني و شمالي أبواب أوض مقفولة من تحتها فيه نور طالع من تحت الباب.

ما عدا أوضة واحدة لقيت الراجل وقف عندها واتلفت و بَص لنا و قال: استنوا جوة لحد لما الشيخ يأذن.

دخلنا الأوضة كانت عبارة عن أوضة مضلمة برغم إن فيها لمبة قديمة وشبابيكها مقفولة مكتومة مفيهاش هوا.. كنب كتير على الأرض بنسميه عندنا الكنب البلدي.. فهمت من المنظر إن دي أوضة الانتظار.

قعدنا وبدأت مروة في استجواب طويل بقيت بتجاهل معظمه.. القعدة استغرقت حوالي عشر دقايق.. وظهر الراجل عند باب الأوضة.. و قال خدتوا الإذن اتفضلوا.. بس جهزوا الهدية الأول.

نادر: هدية إيه؟

الراجل المجهول: هدية التعارف.

نادر: بس أنا ما أعرفش و الله إننا كنا لازم نجيب هدية معانا.

الراجل المجهول: هدية إيه اللي تجيبها.. الهدية يعني فلوس.. الشيخ ياخد ٣٠٠ جنيه في الأول، و ممكن ياخد تاني لو الحالة محتاجة.. ولو محتاجتش مش هياخد تاني.. وممكن يرجعلك فلوسك كمان.

نادر: بس أنا مش معايا المبلغ ده .

طلعت مروة من شنطتها الفلوس واديتهم للراجل

رفعهم قدام عنيه البيضا و كأنه شايفهم وشاور لنا اتفضلوا تعالوا.

وخرجنا من الأوضة و رجعنا في الطرقة اللي جينا منها الأول.. أوضة على الشمال خبط عليها و استنى.. وخبط مرة تانية و تالتة ورابعة لحد سبع مرات و احنا ساكتين.

وبعد الخبطة السابعة فتح الباب وشاور لنا ندخل..

دخلنا وقفل الباب وهو فضل برّه ومشي، لقينا المنظر المعتاد بتاع الأفلام الأوضة عبارة عن دخان وروائح غريبة مزيج من أبخرة غريبة وريحة خشب قديم وزيوت محروقة.. هي عمومًا ريحة تقلق ومش مريحة.

وفي وسط كل ده كان قاعد على كرسي.. قاعد يبص لنا بتركيز وكأنه بيقرأ أفكارنا.. أنا واقف ومروة واقفة ورايا وماسكة فيَّ زي الأطفال، قربنا وقُلت له السلام عليكم إحنا معلش مانعرفش المواعيد.

قاطعني وقال: خلاص اتوا دخلتوا.. اقعدوا على الكنبة اللي قدامي دي.

قعدنا على الكنبة في مواجهته.. كان قاعد قدامنا والأبخرة طالعة من مبخرتين كبار وراه واحدة على يمينه وواحدة على شماله.

أما قدامه فكان ترابيزة مربعة كلها كتب وورق وخيوط ومصحفين تلاتة على اعتقادي يعني.. ومقص.. وحاجات غريبة.

مكنتش حابب يبان إني مركز أوي معاها..

مروة اتكلمت فجأة وقالت: هو انت مين؟

رد وهو بيضحك وقالها: انتي جاية عندي ومش عارفة أنا مين؟

مروة: هو اللي جابني وماقاليش.

بَص لي بصه كلها استغراب وقال: أنا الشيخ الوقاد ماسمعتيش عني قبل كده ولّا إيه.

مروة: لأ اول مرة أسمع من شويه واحنا جايين.. نادر كداب.. كدب على أمي وخالتي وعليَّ أنا كمان وقال هيوديني للشيخ لطفي.

الوقاد: ضحك بصوت عالي ساخر.. لطفي.. انتي هنا عندي.

بص لي وقال: وأنت بقى ماتخافش زيارتك مش هتكون على الفاضي.

أنا مش عارف أعمل إيه ابتسمت ابتسامة باهتة.

الوقاد: أحكي ليَّ يا بنتي..خير.

بدأت مروة تتكلم وأنا مديت إيدي بالراحة وكنت جايب معايا الكاسيت الصغير ومجهز شريط «من غير ليه».. ضغطت على زرار التسجيل.. ومروة فضلت تحكي وهو يسمع لحد ما خلصت.

قالها: موضوعك سهل وهيخلص الليلة بس هتتعبي معلش شوية.

مروة: يعني إيه أنا عاوزة أتطلق.

الوقاد: لأ مش المهم انتي عاوزة إيه.. خُدامي همَّا اللي هيحددوا.. مدَّ إيده على المكتب وفتح كتاب وقطع منه ورقة صغيرة وطلعها قدام بوقّه وكأنه بيوشوشها.. طلع كوباية نصها مليان ميَّه من تحت التربيزة وحط الورقة فيها.. وفضل يهز الكوباية لحد ما الورقة شربت الميَّه، وبعدها قام من على الكرسي وقرَّب منا.. وادى مروة الكوباية وقالها اشربي ده.

مروة بصت ليَّ فشاورت لها إنها تشرب وتعمدت أقولها بصوت عالي: اشربي يا مروة أكيد الشيخ ساحر الميَّه دي (عشان أخليه يتكلم).

بص لي وقالي: أيوة ساحرها.. وكأنه بيتحداني.

شربت مروة الكوباية وقام زاقق الكوباية على بوقها وقالها ابلعي الورقة.. ابلعيها.. ابلعيها.

وبعد ما خلصت قالها: اصبري شوية وهنكمل.

وقام باصص لي بصة طويلة مافهمتهاش. قعدنا دقيقتين.. كان الوقاد يقلب في الكتب وطلع كتاب وقعد يقلب في صفحاته وجابه ورجع لنا وقالها اقري الكلام ده..

بدأت مروة تقرأ اللي شاور لها عليه.. بصوت واطي.. قُمت قولتلها علّي صوتك يا مروة.

الوقاد بص لي بغضب شديد وقالي: أنت جاي معاها ليه.

- خُفت وماردتش..

بدأت مروة تقرأ من الأول:

الحاضرون لإنجاز المهام

الحاضرون لمحو الآثام

الحاضرون لطمس الأوهام

الحاضرون يصحبهم الآلام

الحاضرون لإنجاز المهام

الحاضرون لمحو الآثام

الحاضرون لطمس الأوهام

الحاضرون يصحبهم الآلام

وفضلِت تعيد فيهم يجي خمس مرات..

وفجأة سكتت وبرقت عينها على الآخر وفضلت تبص ورا الوقاد

وتقوله لأ قولهم يمشوا.. قولهم يمشوا

الوقاد: كام واحد حضر؟

مروة: كتير كتير قصيرين وشعرهم طويل وسنانهم تخوّف الأوصاف اللي مروة قالتها دي هي (نفس الأوصاف دي أنا عارفها كويس وشُفتها قبل كده في الكابوس)

الوقاد: ماتخافيش منهم دول جايين يساعدوكي.

مروة: لأ أنا متكتفة مش عارفة أتحرك.

الوقاد: قولتلك ماتخافيش سيبيهم يشوفوا شغلهم.

مروة: ابعدوا عني.. ابعدوا عني.. يا نادر حوشهم وابعدهم عني.

نادر: مروة دي تهيؤات أنا مش شايف حاجة من اللي بتقوليها دي.

مروة: لأ دول جايين ناحيتك أنت كمان.. اهرب يا نادر.. اهرب..

(مروة صوتها اتحول لصوت تخين أجش مفزع)

اهرب يا نادر اهرب.. هتهرب وتروح فين يا مسكين أنت جيت بنفسك لحد هنا.

إحنا حذرناك.. حذرناك.. حذرناك.

الوقاد اتحرك بهدوء وراح قعد على الكرسي، أما مروة ففضلت تتشنج وإيديها خشُبت وصراخها لا يتوقف.. وأنا في منتهى السلبية كل اللي عاوزه إني أكمل تسجيل.

مروة صراخها زاد وبدأت تقول بتحرق بتحرق.

صرخ الوقاد بانتصار: طبعًا هتتحرق أنا مابحذرش جني قبل ما أحرقه.. أنت هتتحرق حالًا.

مروة: لأ.. حرام..ارحمني..ارحمني.

الوقاد: إلى الجحيم..إلى الدرك الأسفل..إلي الجحيم.

مـروة: صرخـات متتاليـة بـدون توقـف.. وبـدأت تشـاور عـلى صدرها وتبـص لي وتقـولي: همـوت يـا نـادر.. همـوت يـا نـادر.

وفضلـت تتشـنج ولاقيتـه وقـف معـاه كوبايـة فيهـا سـائل أحمر وغالبًا دم وقربها مـن بوقـه وقـال: مثلـما حضرتـم لحرقـه.. أطلقـوه للجحيم..وأعيدوها لنا..

مثلما حضرتم لحرقه.. أطلقوه للجحيم.. وأعيدوها لنا.

وقـام راشـش الكوبايـة عـلى وش مـروة دفعـة واحـدة.. مـروة قامـت وقفت زي التمثـال والـدم مغـرق وشـهها ومفيـش ولا نقطـة نزلـت عـلى هدومهـا.. السـائل ده تجلـط ومسـك في وشـها بقـى عامـل زي ماسـك أحمر مفرود على وشـها.

قرب الوقاد جنب ودنها الشمال.. وقال: عتيد..عتيد أتم المهمة

جراز - زام– راش - المغادرة.

وفضـل يعيـد فيهـا.. ويَـص لي وقـالي: اقـرأ في ودنهـا اليمـين آيـة الكرسي والمعوذتـين وزعـق لي وقـال: يـلّا انجـز قـوم اعمـل الـلي قولـت لـك عليـه.

قُمـت وقفـت ومـروة لازالـت كالتمثـال بـس هـو عـمال يقـول الحاجـات الغريبـة دي في ودنهـا الشـمال بصيـت عـلى وشـها لقيـت عينهـا الشـمال بتبريش بسرعـة جدًا واليمـين متجمـدة زي باقـي جسـمها..

قربت من ودنها قالّي الوقاد بين كل سورة والتانية قول رقيب ٣ مرات

عملت اللي قال عليه بدأت بآية الكرسي وقُلت بعدها رقيب ٣ مرات

بعدها ( قل هو الله أحد) والفاصل رقيب ٣ مرات

بعدها ( الفلق ) والفاصل رقيب ٣ مرات

بعدها ( الناس) ونفس الفاصل

ومن شغلي مع الشيخ لطفي عارف أدعيه كتير بدأت أقولها:

ربّ أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك ربي إن يحضرون

أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق

كنت بقولهم بصوت واطي جدًا - الوقاد زعق وقالي: قول اللي قولتلك عليه بس..

رجعت أعيد اللي هو قال عليه بدون تجويد مني..

بدأت ألاحظ إن عين مروة اليمين بدأت كمان ترتجف ببطء ثم بسرعة زي التانية لاحظت إن صوابع إيدها بترعش.. سمعت صوت صرخة مكتومة خارج من مروة بدأ يعلا يعلا لحد ما فتحت بوقها وسمعت أكتر صرخة حادة سمعتها في حياتي لدرجة إني حطيت إيديَّ على وداني!

الوقاد: كمل..كمل - وفضل يقول الحاجات بتاعته بصوت عالي، وكملت أنا لكن صوتي بدأ يعلا أنا كمان لأنها عمالة تصرخ لكنها لسه واقفة متخشبة في مكانها ووشها غرقان الدم الغريب اللي لزق فيه.

لكن صوتي كان كل ما أعليه صوت الوقاد يعلي عليه.. فبدأت أعلي عليه فلاحظت إن ده مضايقه لكنه ماعلقش وصلنا لمرحلة إننا حرفيًا (بنصرخ احنا الاتنين ) وتخطينا مرحلة الزعيق.. وبدون سابق إنذار مروة وقعت على الأرض.. وتوقف صراخ مروة.. وساد المكان صمت رهيب.

شيلتها من على الأرض وقعدتها على الكنبة.. وبصيت له قالي: سبها هتفوق دلوقتي ورجع للكرسي بتاعه وبدأ يقفل كتبه من جديد ويعيد رصها على الترابيزة بهدوء شديد..

سمعت صوت تكة مميز أنا عارفه كويس.. صوت بيبين إن الوجه الأول من الشريط اللي بسجل عليه «شريط محمد عبد الوهاب من غير ليه» خلص وبالحسابات كده ممكن تقول إننا كده استغرقنا نص ساعة مثلًا.. مع إني حسيت إننا بقالنا خمس ساعات بسبب اللي حصل ده!

أنا مش هدعي حاجة ماحصلتش أنا ماشُفتش غير اللي حكيت لكم عليه!

لكن اللي مروة شافته حكت جزء منه، وأكيد لما تفوق هتكمل الباقي وهعرف شافت إيه بالظبط..

كنت عاوز أطلع الكاسيت وأقلب الشريط لكن الوقاد نظراته لي كلها شك، وبعد اللي مروة قالته كنت متوقع إنه يتقلب عليَّ.. لكنه برضو ساكت ومكتفي بنظراته ليَّ..

هل ده معناه إن خدُامة دول مابلغهوش!

هل ده معناه إنه لسه مايعرفش أنا هنا ليه!

ولا هو عارف كل حاجة وساكت لسبب هو الوحيد اللي عارفه!

ممكن يكون الانتقام.

ممكن يكون الفضول.. عاوز يشوف آخري..

هتجنن من التفكير وأحب أقولكم حاجة زادت الموضوع عندي لخبطة بزيادة

إن مش ده الوقاد اللي شُفته في الكابوس.. هو شبهه لكن مش هو !

قطع تفكيري صوت الوقاد وهو بيقول:

مش يمكن القرين!؟

الجملة نزلت على وداني زي الصاعقة.. يا خبر أسود أنت سامع أفكاري ولّا إيه؟

الوقاد: القرين أيوة ممكن يكون اللي مكرّه مروة في جوزها.. وارد الحدوث.

نادر: آه..آه ممكن..هي هتفوق إمتى؟!

الوقاد: شوية ماتقلقش..

رجع الوقاد يقلب في ورقه فانتهزت الفرصة ومديت إيديَّ بالراحة طلعت الكاسيت وقلبت الشريط وضغط الزرار.. ورجعت تاني لهدوئي.. وفجأة.. لقيت حد بيغني جزء من الأغنية اللي اعتبرتها تعويذة النهاية بالنسبة ليَّ وعمري ما هنسي الجزء ده كان بيقول:

زي ما رمشك خد لياليَّ

وحَكَم وأمر فيها وفيَّ

ولاقيت بيتي بعد الغربة قلبك ده وعيونك ديَّ

ولاقيت روحي في أحضان قلبك

أحلم وأصحى وأعيش على حبك

حتى في عز عذابي بحبك

عارف ليه من غير ليه يا حبيبي بحبك

اللي كان بيحصل وقتها والأغنية دي شغالة كالآتي:

في الأول حالة صمت وذهول.

بعدها أنا متأكد إن الصوت ده مش من عندي

بعدها أدركت الكارثة أنا مضغطتش زرار التسجيل أنا ضغطت زرار التشغيل والأغنية اشتغلت

بعدها مديت إيدي أتحسس زرار الغلق مش لاقيه.. لاقيته بعد رحلة بحث طويلة ضغطت عليه.. لا يستجيب.. مرة واتنين وتلاتة

حتى الكاسيت قرر إنه يتآمر ضدي ويفضح أمري..

آخر حاجة طلعت الكاسيت وضغطت زرار stop

سيبكوا من كل ده..الوقاد!

الوقاد كان قاعد يتأمل اللي بيحصل وهو مبتسم

أنا عرقان ومتلخبط وعندي هلع.. وهو مبتسم

بدأت أقول أي كلام:

- البتاع الكاسيت اشتغل لوحده

- أصلي قعدت عليه فاشتغل

- أصلي بتمشى بالليل ويحب أخده معايا يسليني

أنا آسف إني نسيت أقفله وأنا داخل

كلام كتير مفكك عمالة أتلعثم وأنا بقوله.. والوقاد لسه باصص لي..

فسكت لأن واضح إن الكلام ممنوش فايدة، وبعدما أنا سكت رجع

الوقاد بيبص في كتبه وورقه وكل شوية يبص لي بصة مريبة لمدة ثانية..

في اللحظة دي سمعت صوت آهات مروة.. بدأت تفوق.. شكلها وهي بتفوق بوشها الدموي ده يخوف جدًا..

قُمت وقفت وبدأت أخبط على وشها عشان تفوق أسرع..

فاقت وفضلت ساكتة باصة لي بصة كلها أسئلة..

وبعدها بصت للوقاد وقالت له:

أنت عملت فيَّ إيه؟

الوقاد : عملت اللي انتوا جايين عشان أعمله.

مروة : يعني إيه؟

الوقاد: حرقنا هولك خلاص.

مروة : هو مين؟

الوقاد: اللي كان لابسك.. روحي البيت وعاوز أشوفك «بكرة في نفس الميعاد»، أو بعد بكره بالكتير عشان نمنع دخول غيره.

نادر : طب وجوزها هترجع له إمتى.

تجاهل الوقاد كلامي وكمل كلامه لمروة: هتروحي تاكلي وتنامي واوعي تستحمي الليلة نهائي.. جسمك هيتأذى..

بكرة ممكن..

وممنوع تتوضي الليلة برضو.

وأي حاجة هتحلمي بها اكتبيها عشان ماتنسيهاش ولما تيجي لي تحكيهالي وماتجيش لوحدك، تعالي انتي والأستاذ.. وبَص لي بصة مرعبة خلت

جسمي كله يترعش.

الوقاد : ادخلي الحمّام في الأوضة اللي قدامي اغسلي وشك قبل تمشي.

سندت مروة وخرجنا من الأوضة فتحنا الباب لقينا الراجل الكفيف اللي دخلنا واقف اتحرك وفتح باب الحمّام.. دخلت مروة وبعدها بثانيتين صرخت جريت خبطت على الباب وصرخت فيه إيه؟

ردت قالت لي: وشي وشي يا نادر إيه اللي عليه ده!

اطمنت وقُلتلها معلش اغسليه بس دلوقتي وبعدين هفهمك.

سمعت صوت رهيب وكأنه جاي من أعماق الجحيم بينادي عليَّ باسمي طبعًا صوته هو.. دخلت أوضته بص لي وهو مبتسم

الوقاد : مش نادر برضو.

نادر بحذر :آه.

الوقاد : مش عاوز تسألني عن حاجة.

نادر : لأ إحنا هنعمل اللي أنت قُلت عليه.

الوقاد : أنت فاهم سؤالي كويس، طب أغير السؤال :

مش عاوز تقولي أي حاجة يا نادر

نادر : لأ مش عاوز.

الوقاد : خلاص براحتك.

دخلت مروة وهي بتترنح من الصدمة أول ما شافها قالها:

معادكم بعد بكرة مش بكرة.. أصل ابني جاي من سفرياته بكرة وهقعد معاه.

لقتني بسأله بسذاجة : هو ابنك بيسافر ليه؟

الوقاد: ابني بيسافر يعالج زي أبوه في كل حتة في مصر.

نادر : يعني مابيقعدش هنا خالص.

الوقاد : لأ بيقعد، بس نادر يا نادر !

نادر : هو متمكن زي حضرتك كده.

الوقاد : أكتر أكتر.. بس شبهي في ملامحه.. ده وريثي.

نادر : ووالدته؟

الوقاد قام وقف وبرق عينيه: أنت بتسأل في حاجات كتير وفضولك هيقضي عليك..

سمعت الجملة كانت نفس الجملة في الحلم.. كان بيقولي يا فضولي.

خدت مروة ومشينا واحنا خارجين الراجل الكفيف قال لنا تجيبوا بعد بكره ٢٠٠ج.

فقُلت له: الله ٢٠٠ جنيه ليه.

قال لي: أوامر سيدنا.

سبناه ومشينا وبدأت أحكي لمروة كل اللي حصل وهي غايبة عن الوعي منها، وأنا بحكي افتكرت وقولتلها:

- انتي بصيتي لي وزعقتي وصوتك اتغير!

مروة : أنا مش عارفة أي حاجة من اللي أنت حكيته أصلا من أوله، أنا كل اللي فاكراه إن الدنيا دارت بيّ ودُخت وحسيت بألم رهيب في صدري وإيديَّ اتكتفت، وبعدها ألم في وداني لا يحتمل وسمعت صوتك بتقرأ قرآن وصوت تاني عمال يقولي كلام غريب.

نادر : طيب انتي ناوية على إيه؟

مروة : ناويه على إيه ازاي ، هعمل اللي قاله.

نادر : يعني هتيجي هنا تاني!!

مروة : أنت غريب جدًا.. أنت اللي جبتني هنا ودلوقتي مستغرب!

نادر : لأ مش قصدي بس قُلت هترفضي تكملي.

مروة : مش هخسر حاجة، وبصراحة أنا عاوزة أعرف الراجل ده بيعالج إزاي .

نادر : يا شيخة! انتي لحقتي!

خلاص بعد بكرة هعدي عليكي بعد المغرب هكون جايب معايا الفلوس ونروح له تاني.

مروة : لأ طبعا أنا اللي بتعالج وأنا اللي هحاسب.

نادر : بطلي غباء، أبويا هيزعق أصلًا لو عرف اللي بتقوليه ده.

مروة : يزعق مايزعقش أنا محدش يصرف عليّ أنا مش شحاتة.

نادر : طيب اقفلي الموضوع ده مش وقته المهم نفذي اللي طلبه بالحرف وحكاية الأحلام دي برضو وجوزك؟

مروة : جوز مين يا حاج.. أنا بكرهه أكتر من الأول ولو كان عليّ عفاريت الدنيا كلها والأخ ده طلعهم برضو هتطلق.

نادر : وأمك هتقولي لها إيه؟

مروة : هقولها إنه كويس.. الراجل ده فيه حاجة بتشدك ليه جدًا.

مروة : بس أنت محدتش بالك من حاجة!

نادر: حاجة إيه؟

مروة: الراجل كان بيبص لك بصات غريبة شوية.

نادر: لأ.. عادي يعني.

مروة: لأ مش عادي طبعًا.. أنا بعد ما فُقت حسيت إنكوا في بينكوا تار قديم والراجل كل مايقول كلمة يبص لك.. ولما أنت تتكلم بيتجاهل كلامك كأنك من غير زعل يعني نكرة.

نادر: طب يا أختي يا محللة.

واحنا ماشيين في شارع الترعة بقيت سامع صوت الميَّه تاني كأن حد بيعوم مع خطواتنا.. تجاهلته وخصوصًا إن مروة واضح إنها مكنتش سامعاه.. فاعتمدت إن ده غالبًا تهيؤات ولو حتى مش تهيؤات أكيد مش هروح أبص في الترعة.. لأن لو حاجة موجودة فأنا عارف كويس جدًّا.. إيه الموجود.. وعاوز إيه!

ووصلنا خلاص، دخَّلتها بيتهم ووالدتها قابلتنا وبدأت تسمع اللي حصل من مروة وشوية حاجات كده متفرقة مني.. بعدها استأذنت ومشيت. طول ما أنا ماشي في الشارع حاسس إن في حد ماشي ورايا.. لكن لما أبص ما ألاقيش أي حد!

لفيت ورجعت تاني أجيب الشارع من أوله يمكن أشوف حاجة، لكن في آخر الشارع كانت واقفة طفلة صغيرة.. واقفة بثبات مابتتحركش.. طفلة أنا عارف كويس هي مين.

مشيت في الشارع وبدأت ألاحظ إنها بتطول كل ما أقرب من نهاية الشارع لحد ما وصلت لنفس الشكل المرعب: نحيفة جدًّا طويلة جدًّا..

كنت تقريبًا وصلت لنُص الشارع، بدأت تتحرك بنفس الطريقة بالظبط

بسرعة خاطفة.. اتلفت عشان أطلع أجري.. لاقيت الطفلة في وشي.. وبكل براءة الأطفال قالت لي: مفيش وقت بعد بكره آخر فرصة تدخلني..

بعدها طلعت تجري.. وعدى من جنبي الخيال الأسود الطويل بسرعة وعداها هي كمان!

روّحت وأنا عمال أفكر أدخّلها ازاي والبتاع ده مش معايا اللي هدخلها به ولو دخلتها هو هيعمل فيَّ إيه.. أنا ماليش دعوه بحد!

وصلت البيت لاقيت والدي ووالدتي مستنييني عشان برضو أحكي لأنهم سمعوا خطوط عريضة من خالتي وعاوزين التفاصيل! بقى مني أنا!

فضلت أجيب كلمة من الشرق على كلمة من الغرب وأنا باكل عشان مش عاوز أحكي اللي قالته مالوش لازمة.. شكروني جداً وأشادوا بموقفي الرجولي.

ووالدي ضحك وقال لي: أومال إيه حكاية الأغنية دي.

نادر: أغنيه إيه دي؟

والدي: مروة بتقول إنك في عز القعدة شغلت أغنية.

نادر: هي كانت سامعة! أومال ماقالتش يعني!

والدتي: وبتقول إن الشيخ الجديد اللي أنت ودتها له كويس إنه ماطردكوش رايح تشغل أغاني عند شيخ يا نادر.

نادر: وماقالتش ليكوا اسم الشيخ كمان؟

والدي: آه الشيخ محمد.. بس مين ده يا نادر؟

نادر: الشيخ محمد آه.. ده شيخ كويس زي لطفي.. بس أشطر.

والدتي: ربنا يكرمك يا ابني.. دي البنت مبسوطة اوي وأمها بتقول

إنما بعد جلسة القرآن اللي جاية شكلها كده هترجع لجوزها.

انبسطت جدًا إن مروة قررت من نفسها ماتقولش اسم الوقاد وتألف حكاية وأي اسم.

كمان هي فهمت إن ده مش شيخ ولا حاجة.. ده واحد ساحر مسخر جن ويأذي أكتر ما يفيد.. بس واضح إنه هيفيدها فهي قررت إنه طالما هتستفيد يبقى الأفضل تكمل من سكات معاه.

خلصت أكل ودخلت الحمّام أغسل إيديا لاقيت ماما واقفه قدام باب الحمّام وبتسألني وهي ماسكة حجاب.. «آه حجاب، مش حجاب البنات اللي بيلبسوه على شعرهم لأ.. حجاب بتاع المشايخ.. وبتاع واحد زي الوقاد بيسموه عمل أو سحر».

والدتي : إيه ده يا نادر لاقيته في هدومك وأنا بغسل..كويس إنه ما اتغسلش.

نادر :إيه ده؟

والدتي: ما أعرفش أنت كنت هتاخده معاك للشيخ ولّا إيه.

ووالدتي واقفة بتتكلم لمحت حد عدى بسرعة من وراها حد قصير شعره طويل أعرفه كويس.. الطفلة.

فتنحت بوقّي من الخضة..

والدتي: مالك يا نادر؟

نادر : لأ مفيش أصلي افتكرت واتضايقت إننا ماخدناش الحجاب ده للوقاد؟

والدتي: الوقاد مين؟ أنت قولت الاسم ده قبل كده..

نادر : أقصد الشيخ.. الشيخ ده اللي لسه جايين من عنده.

والدتي: ما أنا قلت كده برضو خُدُه أهو طيب.

نشّفت إيديَّ وخدت من أمي الحجاب ده ودخلت أوضتي.. الحجاب عبارة عن مثلث ورقي صغير منتفخ.. لونه بني.. ورقه قديم جدًا.

طبعًا مش محتاجة ذكاء هو ده اللي هتدخل بيه العفريتة بيت الوقاد وهيفك التحصين اللي مش عارفة تخترق بيته بسببه.

كده الصورة وضحت أكتر.. وظهور البنت مابقاش في الأحلام بس.

بس أنا برضو مش عارف أقرر، ما أنا لو ماعملتش كده واضح إنها هتوريني الويل، ولو عملت كده الوقاد هيعمل فيَّ إيه.. ولو خلصت عليه ومالحقش يعمل فيا حاجة.. الجن اللي مسخرهم هل هيسيبوني في حالي.. وابنه اللي راجع ده هيكون عارف وهينتقم لأبوه ولا إيه هو كمان!

إيه اللي دخّلت نفسي فيه ده!!

كان عنده حق لما قال لي فضولك هيخلص عليك.. لازم آخد قرار حاسم في موضوع العفريتة ده !

حطيت راسي على المخدة علشان أنام ونمت على جنبي اليمين لاقيت صوابع بتخبط على ضهري.

جسمي كله اترعش.. صوابع بتخبط كأن حد بيقولي اتلفت ليّ عاوزك في حاجة..

صوابع صغيرة.. ففهمت إنها الطفلة..فاتلفت لكن كانت العفريتة قاعدة ورايا بشكلها الأسود وشعرها المنكوش وسنانها المخيفة.

بصت لي وقالت: آخر فرصة..آخر فرصة.

أنا هحميك منه..أنت هتساعدني.

لكن لو غدرت محدش هيحميك مني !

قُلتلها: أنا ماليش دعوة باللي بينكوا !

قالت لي: كاسر الطلسم معاك، وهتدخل بيه وأنا هدخل وراك..

فضلت ساكت وقُلت: أنا بحلم..بحلم..يارب أصحى يارب أصحى..

صرخت : وقالت لأ أنت صاحي والجاي هيكون الكابوس.

وقامت طارت من على السرير واخترقت مراية الدولاب اللي اتشرخت بعدها لكنها ما اتكسرتش.

شديت الغطا عليَّ واستخبت تحته ونمت.. نمت من التعب بعد اليوم الصعب ده.. نمت هروب من التفكير اللي مابينتهيش.

نوم تقيل متعب.. قُمت منه الضُهر زهقان وقرفان ومش طايق أكلم اي حد أول ما فُقت بصيت على مراية الدولاب شُفت شرخ فيها جايها من فوق لتحت.

قُمت خرجت من الأوضة وغسلت وشي اتوضيت وصليت..

وطلعت قعدت في الصالة.. والدتي عملت لي فطار.. فطرت وفضلت طول ما أنا قاعد هي تتكلم وأنا أهز رأسي.. لحد ما زهقت مني وقالت إنها هتقوم تكمل تجهيز الغدا..

الباب خبّط فتحت لاقيت حد مش متوقع زيارته.. الحاج مختار.

دخل بعد ترحيب كبير مني.. ووالدتي عملت لي الشاي المعتاد

وسابتنا ولاقيته عمال يتفحصني وأنا أتهرب من عينيه

نادر : في إيه يا عم مختار ؟

الحاج مختار : أنت مش عارف في إيه؟

نادر : آه.. حضرتك جاي عشان الفلوس.. أنا عارف إني مفروض ما أتأخرش وأرجعهالك.

الحاج مختار : نادر بطل استعباط..أنا قولت إني مش عاوزهم.

نادر : لأ.. ازاي دي فلوس حضرتك.

قاطعني بصوت عالي: نادر بطل كلام ملوش لازمة.

نادر : في إيه يا عم مختار.. بجد أنا مش فاهم..

مختار : حالك مش عاجبني.. خدت بنت خالتك وديتها فين إمبارح.

نادر : إيه!

مختار : إيه مش سامعني! خدتها وروحت فين.. مين الشيخ محمد ده!

نادر : والدي لحق يقولك؟

الحاج مختار: هي بقت كده! متضايق إني عرفت.. طيب على العموم مش والدك.. دي خالتك اللي قابلتني الصبح وهي رايحة السوق وحكت لي وعمالة حتى تدعيلك.

فقلت أعرف منك وآهو بالمرة أروح له وأرجع أدعيلك أنا كمان يا بركة.

نادر : عم مختار أنا مش فايق لتريقتك خالص.

مختار : طيب هقولك كلمتين ودول هيكونوا آخر كلمتين في الموضوع ده تمامًا.

الوقاد غير لطفي.. الوقاد يعني سحر وأعمال وتسخير جن وكفر وشرك والعياذ بالله.

الوقاد مش سهل يتضحك عليه ده لو أنت رايح من باب الفضول.. أما لو رايح وعايز تتعلم منه فيبقى يا ألف خسارة عليك وعلى ثقتنا كلنا فيك.

نادر: ماتقلقش عليّ أنا عارف أنا بعمل إيه كويس.

مختار: يبقى هتضيع..البني آدم دهماينفعش معاه الثقة دي أبدًا

لا هو ولا مراته ولا حتى ابنه.. ولو حطك في دماغه محدش هينجدك منه غير حد بيعمل نفس أساليبه وإنك تحاوي جن أنت كمان يحصنك ويحميك منه. الوقاد حط عيلة في دماغه قضى عليها.. مع إنه كبيرهم كان متجوز جنية من تحت الأرض.. ويقولوا عنها عاوزة تنتقم لجوزها بكل الطرق.

كل كلام مختار بيأكدلي إني ماشي صح جدًا، ومفيش أي حاجة من اللي بتحصل لي أوهام..

خلص عم مختار كلامه

نادر: حاضر يا عم مختار، اطمن، وزي ما وعدتك هحكيلك كل حاجة في الوقت المناسب.

قام عم مختار ومشي وهو متضايق من تلميذه النجيب وهو بيكبر ويتمرد عليه وبياخد قراراته من نفسه، وكمان مايعرفوش هو بيعمل إيه.

***

# الفصل التاسع

## الهامسون

دخلت أوضتي وطلعت الشريط وجبته من الأول، وبدأت أسمع وجبت ورقه وقلم عشان أسجل ملاحظات واتفاجئت إن في ملاحظات كتيره وجديدة لازم تتسجل..

بدأ الشريط يظهر الكلام فيه واحنا قاعدين في أوضه الوقاد والحوار المبدئي اللي دار بينه وبين مروة اتفاجئت إن طول ما مروة بتتكلم سامع أصوات كتيرة كلها عاملة زي ما تكون ناس كتيره بتتنفس جنب صوتها.

وفي وقت مروة كانت عيطت لمدة بسيطة وهي بتحكي فسمعت الأصوات دي بتنتحب هي كمان وأصوات بكاء غليظة تخوف لكنها بعيده.. لما عليت الصوت سمعتها بوضوح أكتر..

لما بدأت الجلسة وبدأت مروة تتألم وتصرخ بدأت الأصوات دي تعلوا وتصرخ هي كمان.. إلا صوت واحد وسطهم صوت أنا عارفه كويس عمال يقول خلاص خلاص.. الصوت ده صوتي! أيوة صوتي أنا ما أعرفش إزاي بس صوتي قلتها مرتين وسكت.. وسمعت صوت خافت بيقول اشربي يا مروة.. اشربي.

وبدأ الوقاد يقولها تقرأ التعويذة بتاعة التحضير وبدأت أسمعهم بيردوا

عليها، هم مين مش عارف لكني سمعتهم الهامسون.. مروة أكيد وهي بتقرا مكتش عارفة دي إيه..

قالتها أول مرة من غير ا حد يرد عليها

- الحاضرون لإنجاز المهام

- الحاضرون لمحو الآثام

- الحاضرون لطمس الأوهام

- الحاضرون يصحبهم الآلام

وبدأت تعيدها

- الحاضرون لإنجاز المهام

فردّ الهامسون: حضرنا وننجز

- الحاضرون لطمس الأوهام

رد الهامسون: حضرنا ونطمس بأمر سيدنا.

- الحاضرون لمحو الآثام

رد الهامسون: حضرنا وسنمحو الآثام .

- الحاضرون يصحبهم الآلام

ردّوا عليها: حضرنا وسنذيقك أشد أنواع الآلام.

وعادت مروة الطلسم ده أو التعويذة وكل مرة تعيد يعيدوا ردودهم همّا كمان

عادت مروة للصراخ وبدأت تقول: مشّوهم.. مشوهم

ودار الحوار بينها وبين الوقاد اللي حكيناه قبل كده حول عددهم وأشكالهم.

وظهر صوتي: أنا مش شايف حاجة ودي أوهام.

اللي حصل إن بعد الجملة دي حصل صمت شوية، وبعدها سمعت صوت يخوف بيقول لمروة غالبًا: بشّريه بعذابٍ أليم.

فصرخت مروة : جايين عليك يا نادر، اهرب.. وتحول صوتها لنفس الصوت المرعب وهي بتقولي هتهرب وتروح فين.. إحنا حذرناك.

- وقفت الشريط وبدأت أكتب ملاحظات عن اللي بيحصل.. مضمون ملاحظاتي إن أنا كنت مش شايف أي حاجة غير مروة والوقاد، ولكن من الواضح إن اللي كان بيحصل كان أكبر من كده بكتير والأعداد المتواجدة حوالَيَّ كانت كتيرة جدًا..

شغّلت الشريط تاني وعادت صرخات مروة.. وظهر صوت الوقاد بيقول طبعًا هتتحرق.

وإذا بصوت مختلف عن كل اللي فاتوا بيصرخ: بتحرق..بتحرق.. حرام.. حرام.

و الهامسون بدأوا يقولوله: إلى الدرك الأسفل.. إلى الدرك الأسفل.. إلى الجحيم.

صرخات كتير لمروة وبعدها كلام من الوقاد وصمت فجأة غالبًا كده بعد ما رش الدم على وشها..

ودار الحوار بتاع إني أقرأ قرآن جنب ودنها اليمين..

وبدأ هو يقول: عتيدٌ عتيدٌ عتيدٌ

وسمعت صوتي، بدأت أقرا آية الكرسي.. لسه بقول «الله لا إله إلا هو..» وبدأت أصوات الهامسون تعلا جدًا، وبدأوا يصدروا أصوات مفزعة وفضل صوت حاد مستمر زي صوت أجهزة الكشف على مستوى السمع اللي بتكون عند دكاترة الودان.. مزعج جدًا فوطيت الكاسيت، وبدأت أجرّي الشريط شوية لحد ما خلصت وسمعت صوته بيقول لي: سيبها هتفوق دلوقتي.

وبعدها صمت شوية وعاد الهامسون للكلام..

احترق العاشق.. احترق الجن العاشق

أنجزنا المهام.. محونا الآثام.. طمسنا الأوهام.. أذقناه أشد الآلام

أنجزنا المهام.. محونا الآثام..طمسنا الأوهام.. أذقناه أشد الآلام

خلص الشريط.. أو الوجه الأول من الشريط وللأسف ماسجلتش أي حاجه تاني.. قلبت الشريط عشان أجرّب أسجل عليه وأطمن إن الوجه التاني سليم.

ضغطت على زر التسجيل وبدأت أجرب وأقول أي كلام.. باب الأوضة خبط قُمت فتحت لاقيت والدتي جاية لي كوباية عصير، وقالت لي إن خالتي كانت عاوزة تيجي معاكو المرة الجاية فقُلتلها يا ماما هو احنا هنعيده كل شوية مش هينفع..

خرجت ماما ورجعت قعدت على السرير، وبدأت أشرب العصير، خدت بالي إن الشريط لسه بيتسجل عليه فقفلت وجبت الشوية دول من الأول وشغلته سمعت الكلام كله اللي سجلته اطمنت إنه شغال ده حتى صوتي خبط والدتي على الباب واضح جدًا وأنا برد وأقول حاضر..

فإذا بصوت سمعته قبل كده من مروة متداخل مع حواري مع أمي.

افتح الباب يا نادر..افتح يا ويلك (الصوت كان واضح إنه برَّه الأوضة)

سمعت صوت فتح الباب، وبدأت أسمعه تاني :

لقد علم سيدنا.. لقد علم سيدنا

انتقامه منك هيكون شديد..

فات وقت الهروب.. اعتذر لسيدنا.. اعتذر

بعدها رجعت أغنية «من غير ليه» تشتغل..

قفلت الشريط وبحر الحيرة بيكبر ومش عارف آخد برضو القرار.

ولما الجن احترق مش المفروض إن مروة كده خفّت أومال ليه عاوزنا تاني نروح له.. وليه مروة مالاحظتش عليها تحسن ولسه مصره على الطلاق!!

أكيد الجن بيساعدوا في الكدبة الكبيرة اللي الناس كلها بتقع ضحاياها لازم أكون سبب في فضح البني آدم.. بس ده مش معناه إني أرجع أروح تاني!!

مر اليوم ده على كده، وعلى آخر اليوم كنت خدت القرار.. كفاية لحد كده وهروح بعد يومين للشيخ لطفي وهحكي له وهشوف إيه ممكن يتعمل وهقول لوالدي، ولو قرب مني، أهلي فعلًا هيموتوه..

خدت القرار وارتحت نسبيًا واتصلت بالليل على الساعة عشره بمروة وبلغتها إننا هنأجل المشوار عشان مضطر أسافر أجيب شوية حاجات من القاهرة لمشروع التخرج بتاعي وبحث آخر السنة..

مروة بان عليها إنها اتضايقت جدًّا ولكنها قالت جملة واحدة! معلش أنا هستناك لما ترجع يا نادر نروح ده إذا كنت ناوي فعلًا تروح.

كنت متوقع منها رد أعنف من كده بكتير.. وكنت متوقع خالتي تثور وتتصل بعدها بوالدتي تقلب الدنيا.. لكن لا ده حصل ولا ده حصل..

- غريبة.. بس كده كويس.. معنى كده إن قراري ده صح.

***

# الفصل العاشر

## انتقام زوجة

### «الكابوس الثاني»

قعدت في الصالة أتفرج على التليفزيون لكن من ورا التليفزيون ظهر ظل أسود كبير امتد على الحيطة واتحرك على السقف بسرعة وسقط أمامي عبارة عن حاجة شبه كرة كبيرة من الشعر.. ليت رجليَّ طلَّعتها على الكنبة وفضلت أتأمل الشيء ده.. كورة سوداء من شعر آدمي ساكنة في انتظار حركتها أو انفجارها في أي لحظة.. حجمها كبير مش صغير.

لحظات مرت عليا زي الساعات وأنا مابعملش حاجة غير إني ببص على الشيء ده التليفزيون بدأت إشارته تبوظ وتشوش..

الشيء ثابت وأنا مشلول.. عاوز أنادي على والدي صوتي مش خارج مني..

عاوز أقوم.. مش عارف أتحرك!

ومن ورا التليفزيون ظهرت الطفلة وبدأت تتحرك في هدوء في الصالة رايحة جاية وأنا مش عارف ناوية على إيه.. لقتني بقولها: ممكن تمشي البتاعة دي عشان نتفاهم طيب..

ورجعت تتمشى في الصالة وتتأمل في التابلوهات المتعلقة يمين وشمال وتبص لي وتضحك..

قطع الصمت صرخة شقت سكون الليل صرخة جاية من جوة من أوضة أمي وأبويا..

اتحركت غصب عني من صوت صرخة أمي.. مع حركتي مالحقتش أشوف فين الكورة السودا نطت في وشي..

اتنفضت خدت الكنبة ووقعت على ضهري على الأرض والكورة دي في وشي.. بس لما وقعت هي بعدت ووقفت عند رجليَّ كانت الكورة دي موجودة.. وطلعت على رجليَّ وبدأت تتحرك عليهم وجاية ناحية وشي!

وهي بتتحرك على رجلي بدأت أشوف ملامحها.. فعلًا هي كائن بشع فعلًا كورة من الشعر أشبه ما تكون بالقنفذ لكن لها وش صغير غريب وسنانها بارزة عاملة زي الدبابيس والإبر، ولها إيدين رفيعة ورجلين برضو رفيعة مش فاهم إيه الكائن ده !

لكن كل اللي حاسس به دلوقتي ألم وحرارة عالية كل ما تلمس جزء من رجليَّ وهي بتتحرك عليها..

سامع صوت أمي منهارده جدًّا جوة ووالدي عمال يزعق ويقولها في إيه.. فيه إيه؟!

وعنيا مع الشيء ده اللي بيتحرك وبدأ يطلع على بطني ويتحرك بمنتهى البطء والألم عاوز اتحرك بردو بدون أي فايدة.

وكمل مشواره خطوة خطوة لحد ما وصل لصدري ورفعت راسي شوية عشان أشوفه.. كلمة بشع هي أقل وصف له..

وقف على صدري وبطل يتحرك لكن كان بيخرج منه صوت عامل زي صوت التعابين والفحيح المرعب ده..

لكن جت الطفلة.. وقعدت جنب راسي..وقالت لي:

- أنت نويت تغدر.. وأنا نويت أعاقب.

أنت أخليت بالاتفاق.. وأنا هنفذ تهديدي.

كانت بتتكلم بمنتهى البراءة.. محدش بصدق أبدًا إن التهديدات دي خارجة منها.

نادر: أنا ماوعدتش بحاجة.. أنا مش هروح له تاني لا ليكي ولا لمروة.

الطفلة : هتروح.

نادر : ليه؟

الطفلة : عشان أدخل.. لازم أنتقم لسيدي.

نادر : ما تشوفي حد غيري..

الطفلة : هشوف لو أنت رفضت وعقابي نزل عليك..أكيد هشوف.

نادر : حرام عليكي..أنا غلطت إني رُحت من الأول.

الطفلة: وغلطت أكتر لما فكرت تغدر بيَّ.. أنت عارف؟ أنا هعاقب بيتك كله.. ادخل شوف والدتك.. قبل ما تموت!

أول ما قالت الجملة دي.. الشيء الأسود نط على وشي حسيت بمليون إبرة بتتغرس في وشي.. مش شايف حاجة..الجسم الأسود كله فوق رأسي لكن الألم لا يحتمل.. فجأة جسمي اتفك وبدأت انتفض وإيديَّ اتحررت فمسكت الشيء ده وبدأت أحاول أرفعه عن وشي بأي شكل لكن كان ماسك في جلد وشي زي الخفاش ما كانوا بيقولو لنا زمان إنه لو مسك في حد «ما يطلعش غير بالطبل البلدي»..

لكنه سابني فجأة نط من على وشي ولمحته بعيني بيجري ناحية الطرقة اللي فيها أوضتي وأوضة أمي وأبويا..

وبعدها بثواني سمعت صرخة أمي.. نفس الصرخة اللي سمعتها من شوية، وبعدها نفس كلام والدي وزعيقه ونفس سؤاله : هو في إيه..فيه إيه؟

كأن الشريط بيتعاد من الأول!

بصيت قدامي مالقتش الطفلة لقيت العفريتة الطويلة سوداء الملامح بتاعة الترعة واقفة وشعرها المجعد بيتمايل.. واقفة بتبص لي وعنيها كلها شر ووعيد!!

قُمت بسرعة وجريت للأوضة بتاعة والدي ووالدتي.. فتحت الباب لاقيت أمي قاعدة على السرير وأبويا جنبها ومبرقة عنيها وفاتحاها على الآخر والدموع نازلة زي المطرة..

وأبويا عمال يخبط على وشها ويفوق فيها.. والدتي كانت مصدومة واللي على وشها ده آثار الصدمة..

نطيت على السرير وبدأت أساعد والدي وأكلمها:

ماما..ماما..ماما.. ردي عليَّ.

والدي: ما أعرفش مالها..أنا صحيت من النوم على صوت صرخاتها. اتفزعت وبصيت لقيتها مش جنبي لقيتها واقفة قدام الدولاب وفاتحاه وواقفة قدامه تصوت جريت عليها سكتت خالص وجبتها قعدتها على السرير وعمال أنادي عليك مابتردش.

نادر : مالك يا أمي شُفتي إيه؟

والدتي وهي بتصرخ : ابعد عني.. ابعد عني.. أنت السبب.

نادر : في إيه يا أمي؟ في إيه؟

والدتي :ابعدوه عني.. هنموت كلنا بسببه.. إديها اللي هي عاوزاه..

نادر : هي مين وأديها إيه؟

والدتي : وديها مكان ما هي عاوزة تروح..

أبويا : طيب اهدي وهيعمل كل اللي انتي عاوزاه..

والدتي : مش أنا اللي عاوزه.. هو عارف كويس مين؟

دخلها البيت

خليها تاخد بتار جوزها

أنت معاك مفتاح دخولها

دخلها البيت.. حرام عليك..دخلها البيت.

وفضلت أمي تعيد وتزيدد في الكلام ده.. لحد ما تعبت ونامت.. وخرجنا أنا ووالدي برَّه ووالدي مش فاهم أي حاجة، لكنه سألني أنت فاهم؟

قُلت له: لأ إستنى لما تصحى ونفهم منها.. والدي كان بيتكلم واحنا قاعدين في الصالة سمعته في نُص كلامه بيقول التليفزيون غالبًا باظ.. بصيت لقيت صورة التليفزيون متجمدة على صورة بشعة، صورة الجنية المخيفة زوجة عثمان ووالدي عمال يطفي التليفزيون ويشغله يرجع نفس الصورة.

وبعدها بقت صورة الكائن المدور المشعر اللي كان بيتحرك عليَّ.. وسمعت والدي بيقول إيه الشكل ده أعوذ بالله !

وبعدين بص لي وقال: إيه ده مال وشك؟

نادر : مال وشي؟

والدي: مليان خربشه ودم مخدتش بالي منه قبل كده، لسه شايفه حالًا.

نادر : مش عارف يمكن قطة ولا حاجة!!

والدي : بس إحنا معندناش قطط !

نادر : يا بابا خلاص شوف أنت التليفزيون أهم.

والدي: أنا هشيل الفيشة خالص وبكرة نشوف له تصليح، أنا هدخل أقعد جنبها ومش هنام للصبح.. شال الفيشة، وبعد ما دخل التليفزيون اشتغل لوحده وجاب نفس الصورة.

فضلت قاعد في الصالة وعنيا غفلت وصحيت على صوت أمي وهي بتنادي على أبويا.

«يا مصطفى..يا مصطفى».. (كنا بقينا الصبح)..

وقفت وروحت الأوضة لقيتها صحيت.. وبابا قاعد جنبها..

كنت داخل بحذر شديد..لكن محصلش حاجه..بصت لي عادي، وبابا قالها حمد لله على سلامتك.. وسألها مالك؟

قالت له خليني أهدا وأفوق وأحكيلك بعد كده على كل حاجة..

تطوعت إني أعمل أنا الفطار.. وعملت وفطرنا وكلنا على السرير جنب والدتي.

وبابا طلب منها نخرج نقعد في البلكونة.. وخرجنا وبابا جاب هو الشاي وبدأ يصب لنا ويقول كلام هزار من باب تخفيف حدة التوتر اللي كان باين علينا إحنا التلاتة.

وقعد يفتح في أي مواضيع عن الأسعار وعن خالتي وعن كليتي لحد ما والدتي قاطعته: مصطفى أخوك شحاته جالي الله يرحمه في المنام وقالي: قولي لنادر يبعد عن الطريق ده.. وبصت لي.

وقالت لي: طريق إيه يا نادر اللي عمك يقصده!!

والدي كمان بص لي فبصيت لهم الاتنين وعملت نفسي مش فاهم حاجة.

وبدأت افتح أي مواضيع تانية انتهت بسؤالي:

نادر: هو ده يا ماما اللي حصل إمبارح بس؟

والدي: أيوة صحيح هو ده بس؟

والدتي: لأ بس أنا عاوزة أتطمن عليك يا نادر.

والدي: طب قولي لي إيه بس حصلك إمبارح؟

والدتي: أنا إمبارح دخلت نمت بعدك يا مصطفى مفيش بساعة.. بس وأنا نايمة سمعت صوت طفلة صغيرة بتعيط فتحت عينيَّ.. واستنيت شويه الصوت سمعته تاني بيتعاد.. ولّعت نور الأباجورة وقعدت على السرير وخُفت أوي لكن كان لازم أعرف.. وقفت قدام الدولاب مش عارفة أفتح ولا لأ.. أصل الصوت كان جاي من جواه.

جيت لك أصحي فيك يا مصطفى «وناديت عليك و خبطت على كتفك» ومفيش فايدة مصحيتش..

الصوت عِلي فرُحت تاني قدام الدولاب ووقفت.. مديت إيديا وأنا قلبي عمال يدق وحاسة إنه هيتخلع وينط برَّة صدري.. مسكت المقبضين بتوع الدولاب وفتحته!

مكنتش شايفة أي حاجة.. عمالة أركز عينيا عشان أشوف من الضلمة اللي جوة الدولاب.. مش شايفة.. نور الأباجورة اتطفى وبقت الأوضة ضلمة كحل.. وأنا واقفة وفاتحة الدولاب ولسه إيديا ماسكة المقابض بتوع بابين الدولاب..

حسيت بإيد ساقعة متلجة بتمسك إيدي الشمال.. سحبتها بسرعة لقيت إيد ساقعة زيها أو نفسها مسكت إيدي اليمين.

سحبت إيدي.. وسمعت صوت حد بيتنفس..صوت نفسه عالي..

وبدأت أحس بهوا في وشي زي ما يكون حد بينفخ في وشي.

عاوزه أصوّت مش قادرة، عاوزة أرجع لورا برضو مش قادرة.

نور الأباجورة ولع لوحده فشُفت اللي في وشي ست شكلها وحش أوي طويلة، شعرها منكوش ووشها وحش أوي وخرجت برَّه الدولاب، فتحت بوقّها سنانها كبيرة وطِوْلِت أوي برَّه الدولاب شعرها منكوش وسنانها كبيره عاملة زي أمنا الغولة اللي كانت أمي بتحكي لنا عليها يا مصطفى..

نزلت جنب ودني اتكلمت مش فاكرة قالت إيه جيت أصوت لقتني على السرير زي ما أنا.. بس تقريبًا أنا كنت صوت فعلًا لأن أنت يا مصطفى شُفتك صاحي مخضوض وقاعد جنبي تشوف في إيه..

حسيت وقتها إني تعبانة جدًّا وعاوزة أنام تاني فحطيت رأسي على المخدة ونمت..

سمعت صوتك يا مصطفى بتقولي: هو أنا قولت لك نامي؟!

اتلفّت ورايا لقيت بنت صغيرة قاعدة فوقك يا مصطفى..

وسنانها وبوقها غرقانين دم.. قعدت على السرير عاوزة أعملك أي حاجة مش عارفة.. ويعدين عند رجليك عند طرف السرير لقيت بتاعة سودا زي الكورة كلها شعر وعينها تخوّف قوي وقتها صرخت.. تاني..

أمي خلصت كلامها وسكتت خالص فأبويا اتكلم.

والدي: طب ليه زعقتي لنادر وشُفتي شحاته أخويا إزاي؟

والدتي: زعقت لنادر؟!

والدي بَص لي باستغراب ورجع بص لها.

والدي: أيوة زعقتي وفضلتي تقولي ابعدوه.. ده حتى قولتي.

قاطعت أنا والدي لأني فهمت إن ده كان كلام خارج منها غصب عنها أو بمعنى أدق مش منها هي كانت رسالة من العفريتة ليّ وتهديد واضح زي ما قالت إنها هتقضي على كل عيلتي.

قطعت أمي تفكيري لما قالت:

بس عمك شحاتة بجد شُفته في المنام بالضبط زي ما يكون عايش جه وقالي قولي لنادر يبعد عن الطريق ده وفضل يعيد في الكلام وسابني ومشي وكان لابس أبيض في أبيض ووشه منور زي البدر، وكان واقف في جنينة حلوة أوي يا مصطفى..

ومشي وفضلت أنادي عليه وأقوله أخوك عاوزك يا شحاتة أخوك..

ماردش

بس استنى

ده اتلفت وهو ماشي وقالّي

قوليله بلاش يا نادر ماتفتحلهاش الباب..

وفضلت أنادي عليه وأجري وأجري وراه مالحقتوش خالص.. بس سابني لوحدي ومشي..

خلصت والدتي كلامها وأحلامها وماذكرتش الجزء الخاص برسالة العفريتة ليَّ ومش فاكرة عنه أي حاجة.. وكده الرسالة وصلت..

مش هتسيبنا في حالنا.. بس أنا برضو لسه ماقررتش، لأن أنا بين خيارين كلاهما مرن أنا ضحية صراع قوتين شر هفتح بينهم باب جحيم الله أعلم لما يتفتح هيحصل إيه؟! لكن ظهور عمي كان رؤية حقيقية بيحذرنا فيها من فتح الباب ودخول الجنية.

جبت ورقي وأقلامي، وبدأت أكتب كابوس أمي، وكل اللي حصل وظبطت الشريط وسجلت عليه تاني من أول الوجه التاني جملتين عن اللي حصل.. اهتميت أكتر بالكتابة كنت عاوز أضيّع الوقت فضلت أكتب، وبعدها بدأت أحلل اللي حصل وأكتب أكتر وختمت كتابتي بجملة واحدة.. قرار لا رجوع فيه.. لن أذهب ورن تليفون البيت وسمعت صوت والدتي بتكلم مع حد عادي ولكن فجأة أمي صرخت!

سمعت أمي بتصرخ وكلامها مفكك

انتي بتقولي إيه..طفشت..مش يمكن راحت لجوزها ! أول ما سمعت الجملة دي أدركت إن الكلام على مروة.. خرجت من أوضتي بسرعة، خطفت التليفون من إيد أمي وكلمت خالتي أكيد هي اللي كانت بتزف لأمي خبر طفشان مروة

خالتي: شُفت يا نادر..الحقني..

نادر : إيه اللي حصل؟

خالتي : ما أعرفش كنا العصر كويسين وبسألها حتى عنك قالت لي ما أعرفش عنه حاجة.. دخلت نمت شوية صحيت مالقتهاش.

نادر : طيب خدت هدومها؟

خالتي : لأ مخدتش أي حاجة.. بس خدت مني قبل ما أنام فلوس.

نادر : طيب كلمتي جوزها؟

خالتي : كلمته عادي كده جسيت نبضه من غير ما ياخد باله لقيته بيسألني إيه الأخبار يا حماتي هنرجع لبعض إمتى؟ فعرفت إنه مايعرفش عنها أي حاجة!

نادر: طيب اهدي بس وأنا هجيب بابا ونجيلك دلوقتي..سمعت ماما بتوشوشني: اسألها خدت كام؟ سؤال أمي غريب وأنا كررته بغباء وراها.

فردت خالتي: ٢٠٠ جنيه. وبعدها زعقت لماما: فلوس إيه يا ماما اللي بتسأل عنها

دماغي لفت وخالتي كملت عليّ لما قالت لي: إمبارح بعد مكالمتك سألتها في إيه أصلي حسيتها اتضايقت قالت لي مفيش حاجة أنا هكمل لوحدي، مافهمتش كانت تقصد إيه يا نادر بإنها هتكمل لوحدها.. بس لما فكرت فهمت إنها مش هترجع لجوزها تاني وآديها طفشت آهي وعملت اللي قالت عليه..

اديت أمي التليفون ودخلت أوضتي غيّرت هدومي بسرعة، وحطيت الحجاب في جيبي.. أيوة الحجاب.. وسِبت الكاسيت وماخدتش أي حاجة غير مصحف صغير.. وخرجت لاقيت أمي بتقولي هتعمل إيه استنى أبوك جاي في السكة.. قولتلها أنا هسبق خليه يروح بيت خالتي أول ما يجي.

والدتي: أومال أنت رايح فين يا نادر ؟

نادر : هروح مكان تاني شاكك إنها راحته.

والدتي : فين فهمني.. أنا تعبانة وقلقانة عليك من وقت حلم إمبارح وعمك قالي أقولك تبعد عن الطريق ده.. أنا مش فاهمة بس ده له علاقة باللي بيحصل دلوقتي أنا قلبي حاسس بده..

نادر : ماما لو مارجعتش روحوا لعمي مختار وقوليله نادر بيقولك فكر وافتكر أنا سألتك عن مين وهيعرف يلاقيني..

ماما: نادر على فكرة أنا ما سألتكش عن الفلوس وأنت بتكلم خالتك صفية..

نادر: فعلا؟ يبقى هي عشان تعرفني مروة فين.. سلام يا ماما

سِبت أمي وخرجت وطلعت أجري في الشوارع كنا تقريبا المغرب..

وطول ما أنا ماشي عمال أقول: انتي أكيد شيفاني ساعديني أنا رايح أهو، انقذي مروة متسيبهاش..ساعديني لما أدخل ماتسيبهوش بموتتي.

عمال أقول يارب الطف بمروة.. ووصلت لشارع الترعة ورُحت عند الغاب ودخلت جواه ووقفت قدام الترعة.. وبدأت أزعق انتي فين.. اختفيتي فين.. أنا رايح آهو وهدخلك مفيش حاجة خصلت.. سبت المكان وكملت جري في الشارع ووصلت للشارع الكئيب خبطت على الباب كذا مرة لحد ما الباب اتفتح ولاقيت الراجل الكفيف.

***

# الفصل الحادي عشر

## ( المواجهة الأخيرة )

كنت حاطط إيدي على جيب البنطلون الجيب إللي فيه الحجاب وكأني بحميه.. فكرت الراجل بنفسي فرد وقالي انت مجتش معاها ليه؟ اتطمنت إن شكوكي صح فقُلت له معلش كنت في مشوار قاللي اتفضل..

دخلت ومشيت وراه ووصلني لأوضة الانتظار مالقتش مروة سألته عليها قالي في حضرة سيدنا.. قُلتله عاوز أدخل لهم.

قالي : لازم أخد الإذن منه.. قفل عليا الباب وخرج

فضلت أبص حواليا وأقول دخلتي؟ أنت فين؟

فقدت الأمل وقررت أتناسى الموضوع ده نهائي وآخد مروة وأمشي.

- القعدة زادت عن عشر دقايق فقُمت أفتح الباب لاقيته مقفول من برا.. خبطت كذا مرة..ا الراجل رد من برا.. سيدنا لسه ما أذنش، في اللحظة دي سمعت همس في ودني.. «حضرنا» بصوت طفلة؟..

بصيت لقيت النور عمالة بتترعش.. الباب اتفتح لقيت الراجل الكفيف يقولي اتفضل سيدنا مستنيك..

مشيت وراه..وقف فجأة واتلفت ليَّ بعينيه البيضا تمامًا وقالي أنت حد جه معاك؟.. أنا حاسس إن في حد غيرنا في المكان؟

ماردتش عليه.. خبط كذا مرة على الباب.. زي المرة اللي فاتت.

فتح باب أوضة الوقاد.. ودخلت وراه وهوخرج وقفل..

دخلت بحذر لقيته بيكتب في ورقة كبيرة ومنهمك جدًا حتى ما رفعش عينه يبص عليّ بمجرد شاور لي بإيده إني أقعد.. قعدت وعنيا بتدور يمين وشمال على مروة..مش شايفها.. تعمدت أقعد على كرسي جانبي مش الكنبة عشان ما أبقاش في وشه..

فضل يكتب مده وأنا كل شوية اتكلم وأسأله مروة فين مايردش

لحد ما في مره عليت صوتي فبص لي في منتهي البرود وقالي: ماتخافش مش هعاقبها بذنبك يا فضولي !

اتكهربت وأنا واقف مكاني.. فضل يكمل كتابه.. ولقيته بيبص على السقف كتير وعينه رايحة جاية.. وخلص كتابه وطبّق الورقة

وحط القلم وبص لي واتكلم.

خلصت اللي عاوزه

نادر : فين مروة؟

الوقاد : مروة مين أنا ما أعرفش حد اسمه مروة !

نادر : اللي كانت هنا من شوية.. عملت فيها إيه؟

الوقاد : مكنش في حد هنا!

نادر : عملت فيها إيه!

الوقاد : أنت اللي عملت.. أنا ماعملتش حاجة!

نادر : مش أنت قُلت مش هتعاقبها بذنبي !

الوقاد : يا ويلك من عقابي !

نادر : أنا مكنتش ناوي أرجع.

الوقاد : فضولك قضى عليك.

نادر : طيب خليها تروّح وانتقم مني أنا.

الوقاد : انتقامي منك بدأ بيها.

نادر : يعني إيه! عملت فيها إيه!

الوقاد : اسأل حفيظة.

نادر : أنا بسألك أنت.

الوقاد : اسأل حفيظة عن عقابي.. مش حكت لك.. اسأل اللي دخلتها معاك ! الجنية الأرملة الضعيفة البائسة.

نادر : هجيب أهل البلد وهنحرق البيت عليك.

الوقاد : هات.. يارب تلاقي حد يجي معاك.

نادر : أنت عاوز مني إيه؟

الوقاد : أنا من الأول عندي نفس السؤال من أول زيارة ليك وأنا عارف كل حاجة، وعارف زياراتك للخدامة حفيظة.. بس مكنتش أعرف إن فضولك هيوصلك للمرحلة دي.

كنت عاوز أعرف آخرك إيه؟

مروة هناك في نفس المكان اللي رمينا فيه حفيظة..في الأول وفي الآخر تربة الكلب عتمان..

أول ما قال الجملة دي.. صرخة شقت الأوضه مجهولة المصدر.

قام الوقاد وقف ويسيبها برق لي وقال لي:

- أنت إللي دخلتها معاك أنت يا مخبول.. فاكرها هتحميك؟

أقسم على كل العشيره بالحضور الآن

أقسم على أهل الأرض بالانتقام من الصعلوك

أقسم على كل عشائر الخدام بأن ينتقلوا لوريثي.. خدمة وولاء

تصبحون خدامًا له معاونين له ولاؤكم له

بدأت الحيطان تتغير وتسود وتتحول بشكل أنا عارفه كويس الشكل اللي شُفته في الكابوس والحيطان ينزل منها حاجات صغيرة على الأرض ومجرد ما تنزل تتحول لكلاب سودا تتحرك كلها ناحيتي وبعدها كائنات زي اللي كانت في الكابوس قصيرة مرعبة.. كلهم جايين عليَّ وإذا بي فجأة اكتشف إني مربوط في الكرسي بشاش أسود مكتفني ويبدأ يصرخ فيهم..!

أقسم عليكم بالانتقال للوريث

التوريث الآن.. يتسلم كل الأمور

الوريث يكمل ما بدأه الأب بعد انتقال الأب..

أقسم عليكم أن تهلكوا حفيظة الآن ونادر وزوجة عتمان .

يا مازر عاوث.. يا ملك أيام الأسبوع

يا زاهق يا عازر يا شمهورش يا ملوك الأرض الأسود

ردوا عليَّ من أفضالي عليكم الآن..

ولقيته فتح الورقة اللي كان طبقها وكمل كتبه لدقيقة بالضبط.

وصرخ بأعلى صوته الآن..

بدأوا يكشروا عن أنيابهم ويقتربوا مني.. وهو واقف يضحك زي المجنون ويقول يا إبليس خادمك المخلص ستقتله جنية من الجحيم أوقف انتقامها يا أبليس أوقف انتقامها.. لك ولائي دائمًا وأبدًا..

ووراه وهو واقف ظهرت الجنية وهو مش شايفها لكنها كانت أضخم بكتير وشكلهاشرس ومرعب أكتر ومفزع أكتر.. اتلفت لها وصرخ فيها: غوري من هنا

«جاية تعملي إيه، مهما عملتي مش هيرجع.. عتمان وعيلته أنا قضيت عليهم.. مهما عملتي أنا قضيت عليكي قبل ما تفكري تقضي عليَّ..

هتعيشي برضو تعيسة حتى بعد ما أموت.. عيشي في المعاناة وأنا هعيش تحت عرش إبليس وهرجعلك.. وعمرك ما هتعرفي معنى الراحة، لعنتي هتفضل تطاردك.»

انقضت الجنية عليه بمنتهى الشراسة وبقت عاملة زي سحابة الدخان اللي التفت حوالين الوقاد.. في نفس اللحظة هجمت الوحوش عليَّ وبدأت أحس إني بفقد الوعي لكني شُفته شُفته وهو عينيه مبرقة في رعب شديد شُفته وهو بيموت وهي ملفوفة حواليه زي الأفعى.. وسمعته وعمري ما هنسى جملته الأخيرة..

الوقاد :لأ ! لأ ! يعني إيه وعدتكم فأخلفتكم؟!.. يعني إيه بِعتِني للجحيم.. بتخاف ربنا؟!

لألأ أنا كنت عبد وخادم مطيع ليك..

لأ.. لأ.. لأ.

دلوقتي بتقول إنك بتخشى ربنا وبتخاف منه يا إبليس.

خدمتك طول عمري ووهبتك كل ده

ويدأ صوت الوقاد يتخنق وحشرجة الموت تخرج منه وأسمعها!

والدنيا ضلمت عليّ وسمعت همس الطفلة بتتكلم في وداني، وقالت مش هتموت يا نادر ماتخافش بس انقذ مروة وانقذ نفسك معاها..

فتحت عنيّ فجأه زي اللي كان في كابوس.. إحنا فين الدنيا ضلمة ومش شايف بس أنا لسه متكتف زي ما أنا بالكرسي بس الكرسي واقع بيّ على جنبه.. إيه الضلمة دي.. وإيه الريحة دي..

الريحة دي تخوف ومقبضه أوي!

بصيت لبعيد شُفت فتحة باين منها ضوء خافت.. إيه الأوضة دي..

سمعت صوت بكاء أنا عارفه كويس.. صوت مروة.

مروة: يا نادر أنت عايش الحمد لله هم جابوك ورموك هنا من كذا ساعة وافتكرتك مُتّ.

نادر : مروة انتي كويسة؟

مروة وهي بتعيط : الحمد لله إنك مامُتّش..أنا كنت مستنية أموت بين لحظة والتانية أنا بقالي يوم كامل لوحدي هنا وعمال أنادي ومحدش بيرد عليّ.

نادر : معلش أنا الوقاد كان مكتفني فمش عارف أتحرك.. هو احنا في أي أوضه في بيته؟!

مروة : إحنا مش في بيته!

نادر : أومال فين ؟

مروة : إحنا في تربة!

نادر : إيه؟

مروة : بقولك في تربة الميتيين والأكفان حوالينا يا نادر !

شُفتهم بالنهار مرمين ومن وقت ماالدنيا بتضلم كل حاجة بتبقي مرعبة.

نادر : طيب ماخرجتيش ليه؟

مروة : أنا مربوطة رجليَّ وإيديَّ.. نادر اسكت اسكت.

نادر : مش فاهم.

مروة : فيه كل شوية حد بيجي التربة.. هو حاجة غريبة مش بني آدم.

نادر : يعني إيه؟

مروة : وطي صوتك.

نادر : حاضر بس فهميني.

مروة : طول ما الدنيا مضلمة بيجي شيء غريب يقف قدام التربة ويطلّع أصوات مرعبة ويمشي..

نادر : طب مادخلش التربة؟

مروة :لا..اسكت أنا سامعة صوت خطراته شكله جاي.

سكتت وفضلت مركز مالقتش حاجة جت.. بدأت أحاول افك إيديّ

من الكرسي ولّا حتى رجليّ.. مفيش فايدة.

سندت على ركبي وحاولت أقف بالكرسي لكني قعدت، ومع قعدتي ظهر شخص قدام القبر ومروة همست إني أسكت خالص لكني من خضتي وقعت بالكرسي الناحية التانية لكني وقعت على جثة حد متلج، المشهد فكرني بزمان لما وقعت على عم شحاته بس مش عارف أقوم نهائي من عليها.. لقيت ضوء جاي من برَّه القبر دخل جوة واتسلط جوة وشُفت الجسم اللي أنا وقعت عليه فصرخت غصب عني: حفيظة !!

ومع صرختي مروة صرخت..

التفت لمصدر الضوء لاقيت الشخص الواقف برَّه هو اللي معاه كشاف فبدأت أصرخ فيه: أنت واقف تتفرج انزل الحقنا!

فضل واقف صامت تمامًا.

صرخت فيه يا ابني آدم أنت اتحرك أنت واقف تتفرج

فضل مسلط على وشي الكشاف وهو واقف متجمد

مروة نطقت: قولتلك ده مش بني آدم، اسكت وهو هيمشي لوحده.

سلط الكشاف على وش مروة، وهو واقف محلك سر

بعدها طفا نور الكشاف واتحرك بهدوء ومشي وأنا عمال أزعق.. كل ده وأنا واقع على جثة حفيظه.. بدأت أزحزح نفسي لحد ما وقعت من عليها ومروة سكتت خالص بس سامعها كل شوية بتقول يارب..يارب.

عشر دقايق والمشهد تكرر، وعاد ذلك الكائن بس شُفته وهو بيتحرك كانت حركته فعلًا غريبة.. وقف دقايق صامت تمامًا..بعدها نوَّر الكشاف وسلّطه على التربة من جوة وبدأت مع انعكاس نور الكشاف أبص على وش حفيظة وكانت حقيقي كارثة؛ عينها مفتوحة على آخرها وبوقها كمان

فتحاه على آخره وعلى ملامح وشها رعب وفزع رهيبة.. أكيد خدام الوقاد انتقموا للوقاد منها.. وأنا كده بقى هربت!! كده الإنقاذ يعني!!

وفضل نور الكشاف يتجول في القبر.. حيطان القبر من جوة متهالكة دايبه وكأنها حيطان فرن بيحترق ليلًا ونهارًا.

بدأت أكلمه تاني وكل ردوده الصمت.

أرجوك لو سامعني انقذنا.. هنموت هنا.

طيب لو خايف منتا..روح هات أي حد من الشارع

طيب لو أنت جني أرجوك ارحمنا وخاف ربنا فينا.

لو انت أي كائن ارحمنا.

أول ما خلصت كلامي خرج منه صوت مرعب وأنين نحيف وأنفاس متسارعة.

وبدأ يتنطط على الأرض وصرخاته تتوالى ورا بعضه وقام مسلط الكشاف على وشه.

مروة صرخت صرخة دمرت اعصابي أكتر ما هي متدمرة.. صرخت لأن ملامحه كانت تخوف وهو مسلط الكشاف على وشه..قريبة من ملامح البشر لكنها تخوف.

قطع المشهد ده صوت زعيق جاي من بعيد !!

- واد يا جابر أنت بتهبب إيه هنا؟

- أمك كل يوم هتيجي تقولي أجيبك من الترب ولا إيه والصوت بدأ يقرب وبدأ يتنطط ويشاور بالكشاف.

الراجل أو الشخص ده وصل ووقف جنبه، بص وقال له:

- أنت بتبص على إيه؟ وسلط الكشاف جوة هو كمان!

وبدأ الكائن ده يقول كلام مش مفهوم كتير .

الرجل التاني: هي التربة الملعونة بتاعة زمان دي حد فيها ولا إيه.. يا سنة سودة إيه ده عفريت عفريت عفريت.. لأ عفريتين اتنين !

صرخت فيه وقُلت:

يا عم أنت..

مش عفاريت إحنا بني آدمين

حرامية خطفونا ورمونا هنا وعمالين نقول لجابر ده ينزل يفكنا مش راضي.

الراجل الغريب: يا حول الله يارب.. امسك يادد يا جابر.. امسك يا أهبل الكشاف لحد ما انزل أفكهم.

نزل الراجل وفكني وأنا فكيت مروة وسندتها وطلعنا من التربة وبصيت على حفيظة آخر نظرة.. وشُفت جابر وفهمت ليه ماعبرناش.. جابر عنده مرض عقلي لكن يعتبر هو السبب الرئيسي في إنقاذنا !

مشينا أنا ومروة والراجل عمال يكلم نفسه ويقول : التربة دي بتاعه عيلة عثمان محدش يقرب منها أعوذ بالله منهم ومن الوقاد وابنه.. وحفيظة ماتت يلا مع السلامة! عقبالهم، جوزها وابنها.

- وصلت مروة لباب بيتها وروحت أنا البيت لقيت أمي أول ما شافتني صرخت دجال وساحر يا نادر ليه يا ابني ليه؟

اترميت في حضن أمي وفضلت أعيط زي الأطفال وهي كمان تعيط وتقولي ليه يا نادر ليه يا ابني.

قُلتلها: انتوا عرفتوا منين؟

والدتي: بعد ما أبوك رجع قُلتله اطلب مختار في بيته وحكى لنا على كل ويدأ هو وأبوك يفكروا هيعملو إيه كان بيفكروا يروحوا للشيخ لطفي لكنهم ماعرفوش يلاقوه فراحوا هم الاتنين يدوروا عليكوا.

نادر : يدورو علينا فين؟

والدتي : في العزبة الغربية في بيت الوقاد..

نادر : طب أنا لازم أروح لهم.. لازم يبعدوا عن البيت ده.

والبلد كلها لازم تبعد عن البيت ده.. ده بيت كله شر !

والدتي : طّب يا ابني خلي بالك من نفسك.

نادر : حاضر.

طلعت برَّه لقيت واحد صاحبي معاه موتوسيكل طلبت منه يوصلني مشوار وافق فورًا بعد ما شاف منظري المرعب وحس إن فيه كارثة.. طرنا بالموتوسيكلو وصلنا بيت الوقاد وقُلت له ماتدخلش روّح أنت.. قالي طيب وهو مش فاهم ولا عارف حاجة ومشي.. قُلتله خلاص خليك برَّه مستني لما أخرج.

لقيت الباب مفتوح!

دخلت أجري على أوضة الوقاد.. لاقيتها مقلوبة وكل حاجة في الأرض الكتب في الأرض الترابيزة والكراسي مقلوبة الأرض مليانة شعر أسود زي شعر الكائن المرعب..

بقيت أقلب الحاجات وكأني بدور على الوقاد نفسه لكن مفيش حاجة وشكلها كده أبويا وعم مختار مجوش لسه.. سمعت صوت ناس بتكلم والصوت كان جاي من برَّه شكلهم همَّا.. خرجت مالقتش حد لكن لاقيت أوضة منورة وبابها متوارب..قربت منها بحذر ووقفت برا.. لاقيت الوقاد نايم على سرير وجسمه متفحم والراجل الكفيف واقف قدام السرير لا يصدر أي صوت أو حركة وشخص تاني واقف وماسك كتاب وبيقرا منه وبيقول الكلام ده

الابن يرث الآن

الابن يتسلم الآن

الابن قبل الميراث

الابن يكمل ما بدأه الأب

الابن ينقل الأب الإنتقال المؤقت

عاتق - كافٍ – طلس – موت – بعث – جن الضلال –الوقاد.

الابن يرث الآن

الابن يتسلم الآن

الابن يكمل ما بدأه الأب

الابن ينقل الأب الانتقال المؤقت

عاتق – كافٍ – طلس – موت – بعث – جن الضلال –الوقاد.

وكان مديني ضهره وبدأ يلف حوالين السرير ويصب سائل من إبريق نحاس وصب على كل جزء من جسم الوقاد المتفحم.

ولما لف شُفت وشه كويس.. إيه ده.. الوش ده مش غريب عليَّ أبدًا.. الوش ده شُفته قبل كده..!!

هتجنن.. أيوة أنا عارف كده إن ده الوريث.. بس أنا شُفته قبل كده فين ؟!

آه.. افتكرت.. إزاي كانت تايهة عن بالي..

الكابوس.. أيوة هو ده اللي ظهر في الكابوس هو والكائنات الصغيرة بعد زيارتي لحفيظة الأولى وقالي إنه هو الوقاد.. حتى حفيظة نفسها واضح إنها ماعرفتش.. بدليل إنها قالت لي إنه في جن خادم بيتشكل على شكل الوقاد.. ويمكن يكون برضو جن لكن اتشكل على هيئة الابن برضو هو ده اللي ظهر لي.. الوريث! واللي حواليه كانوا عشيرة من الجن بتساعده..

انتبهت وهما بيغطوه بملاية سودا جابها الابن.. وبدأ يولع شمع ويحطه حوالين السرير.. أنا ما أعرفش هو ناوي يهبب إيه هيولع فيه أكتر ما هو مولع ولا هيصحي عفاريته.. مش عاوز أعرف.. برجع لورا برجلي عملت صوت فابنه بص وأنا طلعت اجري من غير صوت ودخلت أوضة الوقاد تاني وقفلت عليَّ الباب واستنيت شوية لكن محدش جه، كنت مستخبي ورا كرسي فقُمت وقفت عشان أمشي، وأنا قايم بصيت على الأرض لقيت ورقة افتكرتها دي الورقة اللي الوقاد كان منهمك في كتابتها قبل ما الجنية تنتقم منه فتحتها بالراحة وبكل حذر وبدأت اقرا المكتوب فيها.

«وريثي..

أكتب لك اليوم لتعلم ماذا حدث..

لقد اقتحم عالم أبيك شخص يسمى نادر مصطفى فودة، هو

طالب جامعي.. أتى بغرض الفضول وأنا سمحت له بذلك حتى أسلب روحه في النهاية.. وأتت معه فتاة ستكون خير عونًا لك فيما بعد.. تدعى مروة.. لم تكن مريضة، ولكني مرضتها كي تكون خادمتك.

لقد ذهب خادمي الأول، وقام بزيارته ليلًا في صورتك، ولكنه لم يرتدع وظل فضوله يقتله.. إلى أن ذهب إلى عدوتنا الأولى، ذهب لمن حرمتك من السيطرة المطلقة.. ذهب لمن قضت على حياتك الأخرى السفلية.. الملعونة من كلينا حفيظة.. وشت بأسرارنا له فكان القرار بإهلاكها..

اليوم أنا على يقين أن الجنية السوداء زوجة عتمان تواصلت معه ليسمح لها بالدخول..

هو في طريقه إليّ الآن وقد سبقته خادمتك الجديدة مروة، وألقيت بها في نفس مكان العقاب المعهود.. لتخرج منه لك.. خادمة، أسيرة، وزوجة.

أما هو فسأقتله بأيدٍ باردة قبل أن تنال منّي الجنية السوداء.

الآن هو يجلس أمامي وسأقتله، وسأموت وأترك لك ميراثك، لقد قمت بتجهيز تعويذة الإرث لأجلك بالفعل.

وريثي.. لقد دخلت الجنية السوداء وحانت نهايتي، وهي تحميه، سألقي به في أرض العقاب.. الجنية أشم رائحتها الآن.. وتخلى عني الشيطان لأجلها..

أشعر بحرارتها ويُغضبها.. الآن يا وريثي.. أترك لك كل شيء.. المنزل والعشيرة والخادم المخلص.. أكمل..أكمل.. وانتقم من كل بني آدم دون تفرقة.

الإمضاء: مِنْ صاحب الميراث الأول الوقاد إلى صاحب الميراث الثاني وريثي.. كساب!!!»

الورقة اتشدت من إيدي ببص لاقيته ورايا غصب عني قُلت له: الوريث؟

الوريت: كساب..كساب هو اسمي احفظه كويس.

وخَدْ الورقة وبدأ يقراها، وكل ما يخلص سطر يبص لي لحد ما جه عند الجزء الأخير قراه بصوت عالي.. «أنا استلمت الميراث» ويَبص لي وقالي: طبعًا أنت بقى نادر..

نادر : أنا مكنتش عاوز أعمل أي حاجة من ده قسمًا بالله.

كساب: وأنا برضو مش عاوز أعمل أي حاجة من اللي هعمله فيك دلوقتي وهجم عليَّ.. لكن سمعت صوت الباب بيتزق ودخل أبويا وعم مختار وضربوا الراجل الكفيف ولاقوني واقع على الأرض ومفيش حد غيري، كساب ده اختفى تمامًا بس سامع صوته بيقولي «أنا هكون ذنبك الذي لا يُغفَر..»

سندوني والدى والحاج مختار وقالوا لى لما دخلنا كنت كأنك بتحوش عن نفسك حاجة بس مكنش فيه حد!

نادر : آه فاهم.. الحمد لله خير.

والدى والحاج مختار : واحنا جايين انتشر خبر انهم لاقوك جوا تربة فى العزبة جرينا الاول قالوا لينا فعلا لقينا اتنين بس مشيوا فتاكدنا تماما انكوا دول... وجينا على هنا بسرعة.

اتسندت على كتف والدي وخرجنا من أوضة الوقاد... وعم مختار سألني أومال الوقاد ده فين؟

نادر: أهو محروق وميت في الأوضة دي.. وشاورت على الأوضة من برة..

الحاج مختار: بجد مات؟ ازاي؟ أنا هادخل أشوفه

نادر: استنى هنيجي معاك... ودخلنا كلنا الاوضة... وشُفنا!

شُفنا سرير فاضل عليه ملاية سودا، ومفيش أي أثر لأي حد!!

الوقاد اختفى!!

عم مختار : الوقاد فين؟ اختفى ولّا مات ولّا إيه يا نادر

والدي: غار في ستين داهية.. اللي يهمنا ولادنا.. ارجع يا نادر لدراستك وحياتك وسطنا يا ابني.

عم مختار : يعني هو مشي خلاص ؟

نادر : حتى لو مشي فعلاً يا عم مختار، فهو ساب وراه الأسوأ منه، ابنه الوريث... كساب.

«تمت»

تمت ولا أعلم هل هكذا إنتهى كل شيء؟

أم كل هذا كان مجرد بداية لكل شيء

شكرًا ... نادر فودة

***

# كلمتين قبل ما نقفل الكتاب

دوما ما أحب أن أقرأ تعليقات القراء والمستمعين، وأتلقى مشاركتكم، واللي دايمًا بتكون ما بين قصص من تأليفكم ومواقف غريبة تعرضتوا لها حابين تشاركوني معاكوا فيها، كل ده بيكون سبب من أسباب استمراري وبيديني دفعة قوية جدًا إني أحاول أقدم الأفضل، اسمحولي أشاركم معايا بإحدى الرسايل اللي وصلت لي على صفحتي الخاصة على الفيس بوك ، واللي هي عبارة عن قصيدة بسيطة جدًا وجميلة ومعبرة جدًا..

أد إيه لقيتها معبره جدًا عن مشواري ومغامراتي وتهوري

القصيدة كتبتها الشاعرة الدكتورة «هالة يونس»

لكِ منّي جزيل الشكر دكتور..

# مكتوب لي أتهوّر

بلفّ وأدوّر عمال باتهوّر
عايش مفتون وجريء مجنون من وأنا لسه صغير
وفي ليل الضلمة سكون الصوت فجأة ينوّر
خيالات أشباح ارسم شكلها بالليل وأتصوّر
خايف من خوفي مش عارف أبرر
نفسي أنام ولّا خلاص هستنى أما أكبر

******

وأكبر وألفّ وأدوّر عمال باتهوّر
في زقاق مزنوق وجدار مشقوق
لقبر بعيد فيه صوت مخنوق
عمال بيعافر أضعف مخلوق

******

وألفّ وأدوّر عمال باتهوّر
عن راسب محلول ناشف مبلول
يشربه مشلول يقوم على طول
وأديب بهلول عره ابن أصول
يكتب طلاسم قفل ومقفول

******

وألف وأدوَّر عمال باتهوَّر

أجري في متاهات أحضر جلسات

وأزور مقامات علشان كرامات

وازاي ينفعني من بعد ما مات

******

وألف وأدوَّر عمال باتهوَّر

عن نداهة وجنية في الترعة المصرية

نهارك في الدرة وليلك في الميَّة

بيتولدوا ويموتوا وانتي محمية

******

وألفّ وأدوَّر عمال باتهوَّر

حاجة تقربني وحاجة بتبعدني عن سر فراعنة

عن حارس للكنز وسايبينه لعنة

عايزين نتغني.. وساحر مغربي.. يأكد لنا

وهنحفر هنا

. وان مات مننا

واحد ربنا

يغفر ويسامح.. فدا كنزنا

******

وألفّ وأدوَّر عمال باتهوَّر

وتفضل حياتي.. صفحة في كشكول

طباشير في فصول

أنا مين؟!

طبيب معلول

واعي مسطول

عاقل مخبول

لأ.. أنا كل دول

ورا المجهول

******

حاجة تقولي ليه بلف وأدوّر عمال باتهوّر

دي أسرار الكون في كتاب مكنون

يا تعيش مؤمن أو كافر ملعون

بيتي وبيتك لازم مسكون

يا عمار البيت سلام وسكون

******

أما أنا..!!

هلفّ وأدوّر مكتوب لي أتهوّر

خطواتي متاعب.. أمشي عليها ولّا مش همشي.. قدري هيقرر

أنا ساجن خوفي.. حبسه من صغري.. زنزانته ضلوعي..

ولقيته بيكبر

أنا أكبر منه.. أنا مارد خوفي قدامي بيصغر

نادر.. عاشق للضلمة أغسل فيها وشي وأتكحل بسواده الأسمر

وأفضل ألف وأدوّر مكتوب لي أتهوّر